الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشّهيد حمّه لخضر- الوادي

كلّيّة الآداب واللّغات
قسم: اللّغة والأدب العربيّ

الاستراتيجيّة التّضامنيّة في سُـــورةِ "طه"

(دراسة تداوليّة)

مـذكّرة تخرّج مقدّمة لنــيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ
تخصّص: لسانيات عامّة

إعداد الطالبات:
- ✓ خديجة رحومة
- ✓ كوثر شكيمة
- ✓ نور الهدى بته

إشراف الأستاذة:
نعيمة عيشوش

الموسم الجامعيّ: 1440- 1441هـ/ 2019- 2020م

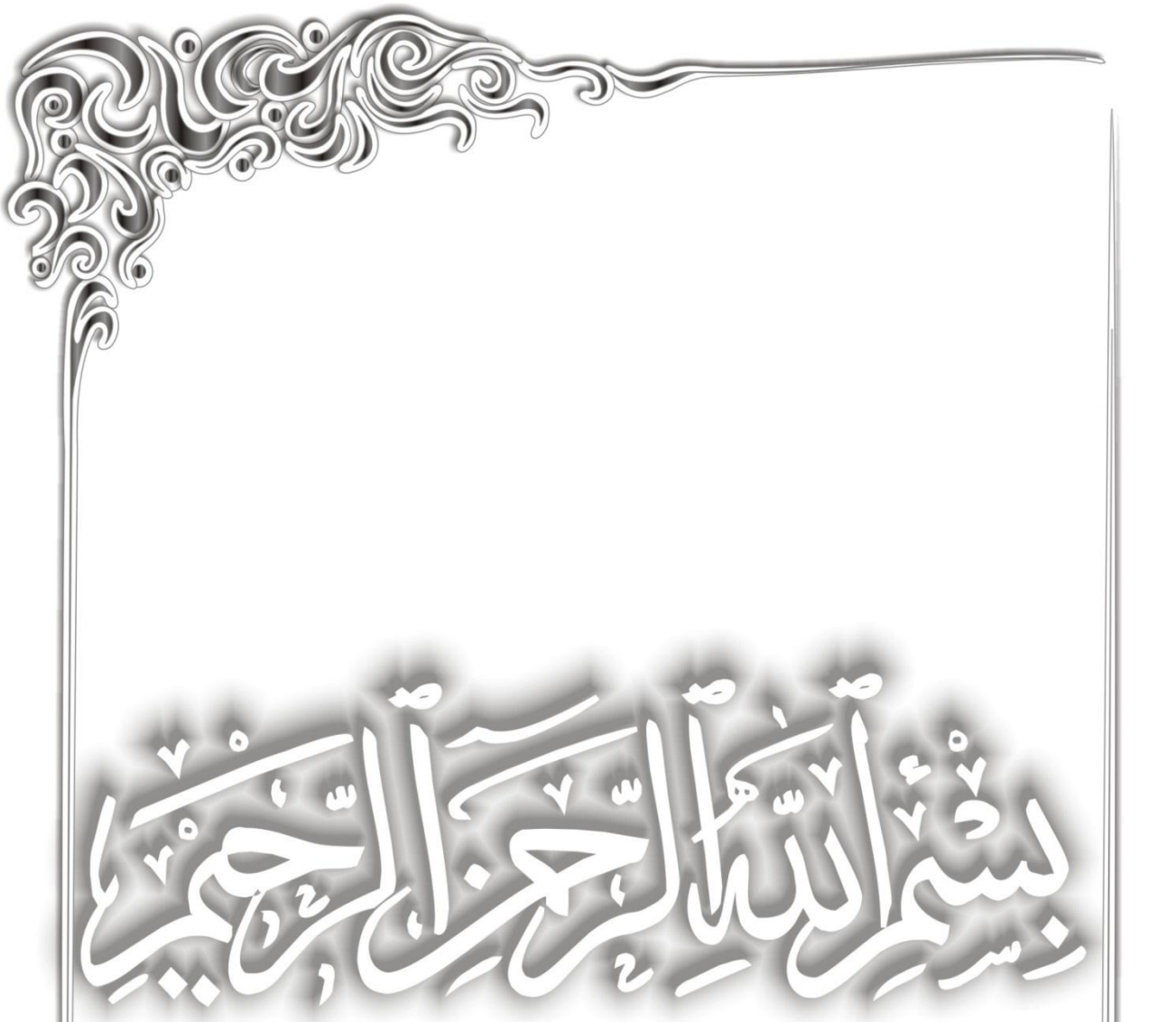
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ١٠١

﴿ سورة يوسف الآية:101 ﴾

شكر وعرفان

بداية لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نحمد الله حمدا كثيرا طيبا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقه لنا لاتمام هذا العمل المتواضع فهو ولي التوفيق والسداد

ومن باب الاعتراف بالجميل نتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان والعرفان إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة بداية بأستاذتنا المحترمة الدكتورة "نعيمة عيشوش " التي أشرفت على هذا العمل .

كما نتوجه بشكرنا إلى اساتذتنا من الطور الابتدائي إلى الجامعي،

فجزاهم الله كل خير .

كما نوجه شكرنا إلى أعضاء الطاقم الإداري على جهدهم في قراءة هذا البحث بغية تقويمه وتنميته فأعانهم الله على ذلك .

وفي الأخير نقدم شكرنا إلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث .

وتقبل الله منا ومنكم خالص الأعمال و وفقنا لما يحبه ويرضاه .

مقـــدّمـــة

للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة فهي الأداة التي تحمل الأفكار ، وتنقل المفاهيم فتنشأ بواسطتها روابط بين أبناء الأمة الواحدة ، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم ، فالقوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار ، والصور الكلامية التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري والعاطفي وذلك للإفصاح عن أغراضهم، وهذا ما جعلها محط اهتمام الدارسين اللغويين وغير اللغويين . وقد ظهرت عدّة دراسات حول كيفية تحليل الخطاب الذي يستند إلى مبادئ وأسس وإلى استراتيجيات معينة ، فهو لا يقوم إلاّ بسياق معيّن يتحكّم في أدق تفاصيل العلاقات بين الأفراد ، بمعنى أنّ كل خطاب ينبني عن الاستراتيجيات التي يتوخاها المرسل حال إنتاج الخطاب ليحقق تأثيرا في المتلقي وعليه فموضوع استراتيجيات الخطاب من أهم المواضيع الجديرة بالدراسة والبحث والتحليل ، لهذا اخترنا البحث في موضوع الاستراتيجية الخطابية وبالضبط الاستراتيجية التضامنية ، وقد اخترنا سوره "طه" لما تتضمنه على عدّة خطابات باستراتيجية تضامنية ، ومن ثَمّ كان بحثنا بعنوان "**الاستراتيجيات التضامنية في سورة طه – دراسة تداوليّة**"، فلا شك أنّ لكل مرسل لأيّ خطاب قصد واضح من وراء خطابه موجه للمرسل إليه ، فهو يفضل استخدام أنواع الاستراتيجيات الخطابية بحسب الظروف والسياق المناسب ، فالمرسِل يلجأ في بناء علاقة طبيعية وطيدة مع متلقي الخطاب أو تمتينها إلى الاستراتيجية الخطابية التضامنية .

ومن هنا يمكننا أن نطرح الإشكالات التالية :

– في ما تتمظهر استراتيجيات الخطاب ؟ وأنواعها بشكل عام ؟ وما العناصر المتحكمة فيها ؟

– كيف تتجلى الاستراتيجية الخطابية التضامنية في الخطاب القرآني ؟ وبالتحديد سورة طه ؟ وما مدى ارتباطها بمقام التلفظ؟

– كيف يمكننا بلورة مقاصد السورة من خلال دراستنا للاستراتيجية التضامنية ؟

– محاولة معرفة مدى إبراز آليات الاستراتيجية التضامنية موضوع السورة الأساسي ومقصديته من خلال المعنى وربط ذلك بمقام التلفظ؟

– هل يمكن أن نستشف من دراسة الخطاب القرآني ضمن الاستراتيجية التضامنية وسياقاتها إضافة شيء جديد في فهمه وتفسيره ؟

ومن أهمّ الدوافع التي أدّت بنا نحو هذا الموضوع الرغبة في دراسة الخطاب القرآني والبحث في استراتيجيات خطاباته التي تكشف عن عدة ضمنيات تستشف من مصوغات الاستراتيجية وهدفها من الخطاب إضافة إلى كون هذا الموضوع في حاجة إلي مزيد من الدرس بالمناهج الحديثة من الناحية النظرية أو التطبيقية .

– وفي طيّات هذا البحث نطمح إلى تحقيق بعض الأهداف ، أولها خدمة كتاب الله في البحث والتعقيب عن مقاصد السورة في الخطاب الضمني .

– إيجاد نماذج تطبيقية للاستراتيجية الخطابية التضامنية من خلال تضامننا لهذه السورة.

أما عن الدراسات التي سبقت هذا الموضوع والمندرجة باستراتيجية الخطاب التضامنية بالخصوص ، فالدراسات الغربية قد أبدت الاهتمام بالموضوع ، أما الدراسات العربية في عمومها فهي قليلة ولا تزال الدراسة متواصلة ومن أهم ما وصلنا كتاب استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لصاحبه عبد الهادي بن ظافر الشهري فهذا الكتاب قد اكتفى في العموم بالجوانب النظرية موضّحًا بشيء من الأمثلة المستمدة من الواقع للخطابات اليومية ، من غير أن يوضح بنموذج تطبيقي يدرس فيه الاستراتيجيات الخطابية وما يتعلق بها في خطابات متكاملة بعينها ، وتطرقت إليه كتب مباحث اللسانيات التداولية بصفة عامة منهم طه عبد الرحمان في دراسته للتداولية التي تعالج الخطاب والحوار والحجاج من وجهة نظر فلسفية وأخرى لغوية ، وأيضاً في بعض دراسات أحمد المتوكل إضافة إلى عبد الله صوْلَه وفي عديد من الدراسات المتعلقة بلسانيات النص والتداولية ، كما ذكر هذا الموضوع في

عدد من المحاضرات والمقالات والبحوث الأكاديمية منها أطروحة دكتوراه بعنوان استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران نموذجاً مقاربة لغوية تداولية للطالبة جيلي هدية التخصص المعجمية وقضايا الدلالة ، كلية الآداب واللغات جامعة محمد الأمين دباغين – سطيف – 2 –، وفي العديد من الدراسات المتعلقة بلسانيات النص والتداولية .

وقد قسّمنا هذا البحث إلى مقدّمة ومدخل تمهيدي ، تليها فصلان أولهما نظري وثانيهما تطبيقي وخاتمة ، حيث اشتمل المدخل التمهيدي على المفاهيم الأساسية المتعلقة باستراتيجية الخطاب ، كمفهوم الخطاب، ومفهوم الاستراتيجية، ومفاهيم شاملة لكل ما يتعلق باستراتيجيات الخطاب .

أمّا الفصل الأول فكان بعنوان " الاستراتيجية التضامنية (المفهوم والمسوغات)" فقد تضمّن أربعة عناصر ، ابتدأت بمفهوم الاستراتيجية التضامنية ، ثم ثانياً الحضور السلطوي لهاته الاستراتيجية ، وثالثاً القواعد التي تعتمد عليها ، وخصّصنا الرابع للعناصر المتحكمة فيها .

مروراً إلى الفصل الثاني فقد عنوناه بـ " أبعاد الاستراتيجية الخطابية التضامنية في سورة "طه" ،وقد احتوى التعريف بالمدونة ، وأيضاً التعريف ببعض الأدوات والآليات اللغوية ، وجعلنا العنصر الأول لدراسة الاستراتيجية التضامنية في سورة "طه" ، فبعضها جاء لتحليل الخطاب القصصي ، وبعضها الآخر لخطاب الترغيب والدعوة ، وبعض الخطابات الواردة في سياق بناء الأخلاق ، محاولين بذلك الإحاطة بجل الموضوعات التي تتطلب خطاباتها استخدام الاستراتيجية التضامنية كاستراتيجية خطابية .

وقد سلطنا الضوء في الفصل الثاني عند تحليلنا للنماذج الموجودة في سورة "طه" على مختلف العناصر المتعلقة بالحدث التواصلي ، (طرفي الخطاب) المرسل والمتلقي وطبيعة

إنتاجهما للخطاب ، ومؤشرات السياق العام الذي وردت فيه آيات السورة ، كما تطرقنا إلى دراسة تحليل الخطاب التي من شأنها التمحور حول الاستراتيجية التضامنية .

فعند تحقيق ذلك، ولِما يتطلبه طبيعة البحث من ملامح المنهج اعتمدنا في التحليل على المنهج الوصفي التحليلي محاولين استثمار ما أتت به التداولية عند التحليل فمن خلاله تتضح لنا صورة الخطاب وتحليله فلا يقتصر على جانب اللغة فقط بل يتعدى إلى الجانب التداولي ومنهجه بالاهتمام بكل ملابسات الخطاب والسياق التي وردت فيه ومحاولة الكشف عن ذلك خاصة بكل ما يتعلق بالاستراتيجية التضامنية .

جلّ البحوث العلمية لا تخلو من الصعوبات ولعلّ أهمّ الصعوبات التي واجهتنا في موضوع هذا البحث وجود العديد من الموضوعات والدراسات المشابهة ، فهذه المتداخلة بعلوم أخرى مثل علوم القرآن ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع وغيرها إضافة إلى قلة التصنيفات فإن وُجدت فهي متناثرة في طيّات الكتب ، إلّا أننا قد تجاوزنا بفضل من الله سبحانه وتعالى كل هذه العوائق والصعوبات والظروف غير ملائمة ومن أثر جائحة كورونا العالمي ، وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة " نعيمة عيشوش" ولكل من كان سندًا لنا طيلة مشوار هذا البحث ، نسأل الله أن يجعله منفعة للجميع ولأهل العلم خاصة.

الوادي في: 2020/06/13م.

المدخـــل

1- مفهوم الخطاب :

أ- لغة : الخطاب في اللغة العربية بمعنى« قد خاطبه بالكلام مخاطبه وخطابا وهما يتخاطبان » [1]

وعند ابن فارس (ت395) بمعنى الكلام بين اثنين ، يقال خاطبه يخاطبه والخطبة من ذلك [2]

الخطاب موجه للأخر بقصد الفهم : قالت (دختنوس بنت لقيط الدرامية) ترثي أباها بصفات الرئاسة والحكمة والقدرة على مواجهة الناس بالكلام :

ورئيسها عند الملو ك ، وزين يوم خطابها [3]

والملاحظ للمعنى اللغوي نجدان مفهوم الخطاب اقتصر على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة ، وقد يضاف الي ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة ، فالتواصل أمر أساسي في تحقيق معنى الخطاب [4]

ب- اصطلاحا : ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية ، في عدة مواضع ، إذ ورد في القرآن الكريم ورد اثنى عشرة مره ، بصبغ متعددة منها : صيغة الفعل في قوله ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الفرقان ، وفي قوله تعالى ﴿ ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة النبأ

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط 3 ، 1999 ، ج 4 ، ص135 .

[2] – ابن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الجيل ، تح عبد السلام هارون ، ط 2 ، 1991 ، ص 198 .

[3] – معجم الدوحة التاريخي للغة العربية ، www. Dohadictionary . org// 12فبراير 2020 ،13.52.

[4] – جمعان بن عبد الكريم ، اشكالات النص ، النادي الادبي بالرياض والمركز الثقافي العربي بالمغرب ، ط 1 ، 2009 ، ص 33

وفي قوله عن داود عليه السلام ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة ص

فقد عدّ الرازي صفة فصل الخطاب من الصفات التي اعطاه الله تعالى لداوود ، معتبر إياها من علامات حصول قدرة الادراك والشعور ، والتي يمتاز بها الانسان على أجسام العالم الآخر من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات ، بيد أن الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير ، فمنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه الى أقصي الغايات وكل من كانت تلك القدرة في حقه أقل ، كانت تلك الآثار ضعيفة ... لأن فصل الخطاب عباره عن كونه قادرا على التعبير عن كلّ ما يخطر بالبال ، ويحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء ، ينفصل كل مقام عن مقام [1]

وقد عرف ابن جنى (ت392) في الخصائص ، الكلام على أنّه خطاب والخطاب هو لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، يتسم بالأصل الشّفهي [2]

أما طه عبد الرحمان فعرفه بقوله : إن المنطوق به – أي الخطاب – الذي يصلح أن يكون كلاما : فهو هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق مل يسمّى " خطابا" إذ حد الخطاب أنه كل منطوق به ، موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوراً مخصوصاً [3]

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – دار الكتاب الجديد ، لبنان ، ط 1، 2004 ، ص351 .

[2] – ابن جنى ، الخصائص ، تح محمد على النجار ، طبع الهيئة العامة للكتاب ، مصر ، ط 4 ، 1999 ، ج 2 ، ص 32 .

[3] طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ، 2012 م ،ص315 .

مما يعني أنّ الخاصية التواصلية ملازمه للخطاب الذي يتطلّب متلقياً .

أما الخطاب في الثقافة الغربية فقد عرف دي سوسير الخطاب بأنه « الخطاب هو مصطلح مرادف للكلام »

ويعرفه بنيفيست « وحدة لغوية تفوق الجملة ، تولد من لغة جماعية » ، « بأنه منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع ، وعند الأول نية التأثير في الآخر بطريقة معينة » [1]

ويقال إذ وسّع التحليل اللسانيّ إلى ما هو أكبر من الجملة ، فعرف هاريس الخطاب بقوله « ملفوظ طويل ، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنْية سلسله من العناصر بواسطة المنهجية التّوزيعية ، وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لساني محض »[2]

كما أخذ الخطاب تعريفات متباينة يعود هذا التباين إلى اختلاف الاختصاصات التي انتسب إليها الباحثون ، وقد نتج عن هذا التعدد خلط بين مفهومي الخطاب والنص " فالنص في هذه الدراسات ، هو مجمل القوالب الشكلية : النحوية والصرفية والصوتية ، بغض النّظر عما يكتنفه من ظروف أو يتضمّنه من مقاصد ، في حين يحيل الخطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي ، وكذلك في تأويله ، ممّا يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه ، كما أن هناك فرقا في العلامات المستعملة فقد نتج الخطاب بعلامات غير لغوية كما هو الحال في التمثيل الصامت ، أو الرسم الكاريكاتيري أو الخطاب الإعلامي التجاري الذي قد يقتصر على استعمال العلامات الغير لغوية .

---

[1] – فرحات بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ص 39 .

[2] – سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1997 ، ص 21 .

وهناك عدد من العناصر التي تشترك في بلورة عملية التواصل في الخطاب وهي : المرسل والمرسل اليه ، والعناصر المشتركة ، وقد تكون لهذه الأخيرة السمية الأكثر في الخطاب ، كما لآثارها من انعكاس على العناصر الأخرى [1]

ومما سبق ذكره يمكن القول أن الخطاب هو عبارة عن نص وهو محمل القوالب الشكلية (علامات لغوية) وقد يكون علامات غير لغوية لمنتج من طرف المرسل إلى المرسل إليه الحاضر أو المستحضر في ظروف سياقية معينة وعليه فالخطاب = نص + ظروف الانتاج.

-2 - مفهوم الاستراتيجية :

مصطلح الاستراتيجية يحمل قدراً من اللبس بسبب اقترانه بالعديد من المجالات المعرفية والحضارية ، اضافة الى شيوع استعماله بلفظ الدخيل ، وعليه يجدر بنا ذكر بعض مفاهيمه فالاستراتيجية اصطلاح عسكري وهي : « علم وفن ينصرفان الى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي لصراع ما ... من أجل تحقيق سياسة ما وغالباً ما تقترن الاستراتيجية بالأهداف البعيدة المدى »[2]

أما في الغرب الذى وفدت منه هذه الكلمة ، فيعرفها ميشال فوكو بما يلي :

تعمل كلمه استراتيجية عادة بثلاث معاني أولا :

- أولاً : للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول الى غاية معينة .

---

[1] ينظر : عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – ص 39 .

[2] – جيلي هدية : استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجاً مقاربة لغويه تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم ، التخصص : المعجمية وقضايا الدلالة ، قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات جامعة محمد الأمين دباغين – سطيف 2 – 2016 ،2017 ص47 ، نقلا عن : الهيثم الأيوبي وآخرون : الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1981 ، ج1 ، ص66.

– ثانياً : للتدليل على الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير

– ثالثاً : للتدليل على مجمل الاساليب المستخدمة في مجابهة ما ، لحرمان الخصم من وسائله القتالية وارغامها على الاستسلام [1]

– الاستراتيجيات طرق محدده لتناول مشكلة ما ، أو القيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف الي بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة ، والتكلم بها .

وللاستراتيجية جانبان :

أ – جانب عقلي ذهني ، يتعلق بالخطط الذهنية وهذا هو الأساس .

ب – وجانب مادي اجرائي متحقق ليتعلق بتنفيذ بعض أجزاء تلك الخطط أما بعضها الآخر وأخص التفصيلات الجزئية غير المهملة ، فتربط بالتكتيك ، وهذان المعنيان متحققان في اللغة العربية الفصيحة [2].

كما نجد أيضا أن الاستراتيجية صارت تطلق على المواقع والأهداف وعلى غير ذلك ، ويبدوا أن معنى الاستراتيجية حينئذ لا يعنى الخطة الرئيسية أو المهمة ، وانما صار يعنى الاهمية القصوى للشيء والهدف ، وهذا هو المفهوم السائد في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة .

ولو خصصنا مصطلح الاستراتيجية بمصطلح الخطاب ، فسيكون مجال هذه الاستراتيجية متمثل في ربط الادوات والوسائل المختارة بالعملية التواصلية ، ويصبح المرسل الاستراتيجي ساعياً الي هدف بلاغي تواصلي ، مستعيناً بكل ما من شأنه ان يعينه في ابلاغ رسالته الي المتلقي ، ويقتضى عليه ان يمتلك كفاءة تداولية « تعد مكوناً فاعلا ضمن تكوين الانسان السويّ تماما ، كما هي كفاءته اللغويّة يبدوا أن الكفاءة التداولية ليست نسقاً بسيطاً بل هي

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقاربة تداولية ، ص 55

[2] – المرجع نفسه ، ص 63.

أنساق متعددة متألفه إذ » تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الاقل وهي : الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الادراكية والملكة الاجتماعية .

ويعرّف (ديك) هذه الملكات الخمسة على النحو التالي :

أ – الملكة اللغوية : يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية ان ينتج ويؤول انتاجاً وتأويلا صحيحين ، عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلة .

ب– الملكة المنطقية : بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية ، على اعتباره مزودا بمعارف معينه ، أن يشتق معارف أخرى ، بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي .

ت – الملكة المعرفية : يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيداً من المعارف المنظمة ، ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب ، وأن يستحضرها ، لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية .

ث – الملكة الادراكية : يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه وأن يشتق من إدراكه ذلك المعارف ، وأن يستعمل لهذه المعارف في انتاج العبارات اللغوية وتأويلها .

ج – الملكة الاجتماعية : لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب ، بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين ، قصد تحقيق أهداف تواصلية معينه [1].

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – ص57.

ومما سبق نستطيع القول : حينما يمتلك المرسل كفاءة تداولية فإنه يستطيع اختيار الاستراتيجية المناسبة لتوصيل خطابه إلى المرسل اليه وتحقيق أهدافه المنشودة .

3 – مفهوم الاستراتيجية الخطابية :

الانسان كائن اجتماعي بطبعه فهو يعيش في وسط مجتمعه مثبتاً وجوده لأفعال كثيره ، يبتغى من ورائها تحقيق أهداف معينه ، وهي أهداف لا يمكنه تحقيقها خارج نطاق منظومة اجتماعية بل يساعده في ذلك سياق المجتمع الذي ينتمي اليه وعليه فإنه يتخذ سبلاً معينه وطرائق محددة فيتمكن بها من مراعاة الظروف التي تحيط بعمله .

أولاً : أن عناصر السياق ، تمكنه من تحقيق هدفه وبلوغ قصده

ثانياً : تتنوع الأعمال التي ينجزها بين أعمال اجتماعية واقتصادية وثقافية ولغوية ...، بما فيها من تنوع لطرق إنجازها في خضم سياق اجتماعي ذي عناصر مؤثرة .

إذن ، فتنوع السياق وتباين عناصره ينعكس على تكوين الخطاب الذي ينتجه المرسل وكذا شكله اللغوي ، جاء هذا التنوع نتيجة لعملية توسع استراتيجية الخطاب .

وقد قدم الشهري تعريف لها بأنها :« عباره عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه ، من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه » من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية ، وفقاً لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ، ويستحسنه المرسل وفد مخض النقاد لهذه الظاهرة بمصطلح (الاختيال) وهو وسيلة لتحصيل المتكلم على مرغوبه ...

واستراتيجية الخطاب في أصلها ، من عملية ذات وجهين متلازمين بوصفها عملية ذهنية ، في مرحة إنتاج الخطاب الأولي ، وبوصف الخطاب تجسيداً لها في مرحلتها الأخرى اذ لا تتضح إلى بالتلفظ به [1] .

واستراتيجية الخطاب كثيرة منها : استراتيجية التصريحية والاستراتيجية التأدب التبجيلي واستراتيجية التأدب الايجابي واستراتيجية التأدب السلبي واستراتيجية الصمت وقد فصل الشهري في أربعة استراتيجيات " توجيهية ، قضائية ، تلميحيه ، الاقناع "، وقد فصل لكل استراتيجية ، وذلك بذكر تعريفها وعناصرها ومسوغاتها ووسائلها اللغوية .

وفي ما يأتي ستقدم مفهوم لكل من استراتيجية الاقناع واستراتيجية التلميحيه واستراتيجية التوجيهية وبعض مسوغات كل منها :

الاستراتيجية الحجاجية : استراتيجية يرمى من ورائها المرسل " إحداث تغييرية في الموقف الفكري أو العاطفي " [2] للمرسل اليه ، وهذه الاستراتيجية يتغنى من خلالها المرسل إقناع المرسل اليه بمختلف الوسائط بوجاهة موقف أو رجاحة فكرته أو أفضلية سلعته بحسب السياق وموضوع الحوار الدائر بين المرسل والمرسل اليه وكذلك بحسب مستواهما و طبيعة العلاقة الرابطة بينهم بواسطة ما يسمى بالحوار الحجاجي ومن مسوغاتها :

أ – قوة تأثيرها في المرسل اليه

ب – طلب المرسل اليه لها في السياقات

ت – حصول الاختلافات بخصوص قيمه معنية .

ث – المناظرة العقلية والمجادلة الكلامية .

---

[1] – ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، مقاربة تداولية ، ص 62–63 .

[2] – ادريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، المجلد الثامن ، العدد 15 ، 2014 ، ص555.

ج – الرغبة في تحصيل الاقناع بما عند المرسل من بضاعة [1]

أمّا الاستراتيجية التلميحية : فهي الاستراتيجية التي تعبر فيها المرسل من غير طريقة التصريح المباشر والدلالة الظاهرة ، بل يختار أن ينقل قده عبر طرق ودلاليته غير مباشره (التضمين والاقتصاد) يحتاج معها المرسل اليه الي اعمال آليات الاستدلال للوصول الى القصد الاصلي ، فهي استراتيجية يحتاج فهمها الي الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب الى المعني المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام ومن مسوغاتها :

أ – الحرص على التأدب في مخاطبة الآخرين بالكتابة وغيرها .

ب – الرغبة في التملص من مسؤولية القول

ت – الرغبة في اظهار التفوق والاستعلاء (نقصد الاستعلاء الايمان)

ث– سلوك طريق النقد

ج – العدول عن محاوله اكراه المرسل اليه أو احراج لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه

ح – استراتيجية الخوف [2]

الاستراتيجية التوجيهية : فهي الاستراتيجية التي يرغب المرسل ها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل اليه ، وهي استراتيجية يعتمد على مبدأ السلطة لتحقيق المقاصد ، ولهذا استند إلى اعتبارات يفرضها سياق التخاطب كما تستند على وسائل لغوية تحقق وتجسد هذه السلطة القائمة بين طرفي الخطاب ، مما يلزم المرسل استثمار كفاءته اللغوية في بناء هذه الاستراتيجية باعتماد أفعال كلامية منبثقة عن الانشاء مثل : الأمر والنهي والاستفهام والتحذير والإغراء .... ومن مسوغاتها :

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – ، ص446 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 372 .

أ – فارق المنزلة بين المرسل والمرسل اليه

ب – السياق الذي يفرض اتصالا محدودا بينهما وفي نطاق ضيق

ت – اعادة الاعتبار لطبيعة العلاقة الموجودة بين طرفي الخطاب ، مثل رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتقاء بمحتوي الخطاب .

ث – اصرار المرسل على تحقيق مقاصده أثناء الخطاب ، مثل سياقات التحدي أو بأن المرسل اليه قد تجاوز حدود طبيعة العلاقة بين الطرفين .[1]

وقد صنف الشهري هذه الاستراتيجيات في ثلاثة معايير بقوله " يختار لمرسل استراتيجية خطابه وفقاً لدواعي السياق التي تصبح معايير لتصنيف استراتيجيات الخطاب ، بأنه كلّ منطوق موجه به الي الغير للتعبير عن قصد المرسل والتحقيق هدفه إذ يتركب هذا التعريف من محاور ثلاثة هي : أن الخطاب يجري بين ذاتين ، وأنه يعتبر المرسل عن قصده ، وانه يحقق هدفا .

وهذه المعايير هي :

1 – معيار اجتماعي وهو معيار العلاقة التخاطبية وتنطوي تحته الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية .

2 – معيار لغوي وهو معيار شكل الخطاب من دلالته عن قصد المرسل سوى بالدلالة المباشرة أو بالتلميح وتندرج تحت الاستراتيجية التلميحية .

3 – معيار هدف الخطاب وتندرج تحت الاستراتيجية الإقناعية [2]

[1] – حمدي منصور جودي ، تشكّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية – دراسة في الأهداف والوسائل – مجلة كلية الآداب واللغات ، العدد 21 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، جوان 2017 ، ص 86.

[2] – ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب – مقاربة تداولية – ص87 –86

وقد لاقت هذه المعايير في العموم قبولا عند عديد الباحثين يقول ادريس مقبول " لقد تم تصنيف أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التداولية بحسب ثلاث معايير وهي الاجتماعية (...) وثانياً معيار شكل الخطاب (...) وثالثاً : معيار هدف الخطاب "

وبالرجوع الي المعيار الاول وهو المعيار الاجتماعي والذي يتعلق بنوعية العلاقة بين أطراف الخطاب التي تتراوح بين القرب والبعد ، وهو معيار الذي ستركز دراستنا ويتمحور بحثنا حوله ، وعلى ضوء هذا المعيار يمكن وضع استراتيجية تسمي الاستراتيجية التضامنية ففيها يسعى طرف الخطاب الي التقارب رفع الفوارق بينها ويمكن أن يعبر المرسل عن تلك العلاقة بأدوات أولية كثيرة ، منها على سبيل المثال الحصر ، الأدوات الاشارية اللغوية التي تقرب البعيد أو تقرب منه ، وتجمع الأطراف التخاطبية .

الفصل الأوّل:

الاستراتيجية التضامنية (المفهوم والمسوغات)

- **الاستراتيجية التضامنية**

أ- مفهوم الاستراتيجية التضامنية

ب- الاستراتيجية التضامنية والحضور السلطوي

- **القواعد التي تعتمد عليها الاستراتيجية التضامنية**
- **العناصر المتحكمة في الاستراتيجية التضامنية**
- **مصوغات الاستراتيجية التضامنية**

– الاستراتيجية التضامنية:

1 – مفهوم الاستراتيجية التضامنية:

أ– لغة: من ضَمِنَ ، ضَمَناً وضمانة ؛أصابته أو لزمته علة ؛ وضمن الرجل على أهله ونحوهم صار كلا وعله عليه – وضمن الرجل ونحوه ضماناً أي كفله والتزم أن يؤدي عنه ما قد يقصر في أدائه ، وضمن الشيء الوعاء – أي جعله فيه وأودعه إياه .

وتضامن القوم – أي إذا التزم كل منهم أن يؤدي عن الأخر ما يقتصر من أدائه والتضامن التزم القوى أو الغني على معاونه الضعيف أو الفقير . [1] وفي معجم الدوحة التاريخي نجد معنيان لمادة ضمن .

1– ضَمِنَ الأمر : كَفَلَهُ وتَحَمَّلَ أداءه

تَضْمَنُ لِلْجَار ما أَقَامَ بناَ رَيْبَ المَنَايَاَ والدَّهْر ذو رِيَبِ .

2 – ضَمِن الشيءَ : اشْتَمَل عليه واحْتَوَاهْ

وبعينَيكِ وَماَ قد ضَمِنَتْ مِنْ دَوَاهِي سِحْرِهَا وَالكُحُلِ .[2]

فضمن لها معنيان الأول بمعنى الاشتمال والاحتواء والثاني بمعنى : كفل الأمر وتحمل آداءه . وتضامن هو تقرب القوي من الضعيف بمعاونته وكذا الغني من الفقير بمساعدته .

ب– اصطلاحا: يسعى المرسل عند إنتاج خطابه لأهداف وأعراض معينه ، وقد ينتقي الاستراتيجية التضامنية كاستراتيجية تخاطبية كونها تهدف في العموم إلى التقريب المسافات بين طرفي الخطاب ، وقد أطلق على هذه الاستراتيجية مصطلح " التضامنية " كما ورد لها

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط8 ، 1426هـ – 2005م ، ص 1212.

[2] معجم الدوحة التاريخي org . Dohadictionary .www// 12فبراير 2020 ، 13:52 .

تسميات آخري ، فقد استعمل الباحثون عددا من المصطلحات للتعبير عن هذه الاستراتيجية أو لإيضاح بعد التضامن ؛ استعمل (براون وبيلمان) التضامن ، واستعمل (براون وليفنسون) ، البعد ، واستعمل (ليتش) البعد الاجتماعي وذلك ، للتفاوت في تحديد مفهومها ، واختلاف طرحهم حولها ، وتعدد الرؤى بصدد ما يحيط بها وآثارها ، بيد أنّ المفهوم الذي يقصدونه واحد [1] . وعلى هذا فقد نجد تعريفات شتى ، كلّ يعرفها حسب وجهة نظره و مرجعيته وقد قدم الشهري في كتابه " استراتيجيات الخطاب " مفهوماً لهما بقوله « هي الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها ، وان يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، واجمالا هي محاولة التقريب من المرسل إليه وتقريبه »[2]

وعليه فوجود العلاقة أو عدمها « يعد من أهم العوامل التي توجه المرسل في تبني استراتيجية خطابية ملائمة للسياق »[3] وسياق التضامن يفرض على المرسل استخدام الاستراتيجية التضامنية ، لأنها هي المتكلفة برسم طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب ن فإن وجدت هذه العلاقة يسعى المرسل في إنهائها وتقويتها ، وإن غابت فيسعى المرسل اولاً إلى خلق هذه العلاقة من ثمة تثمينها وتقويتها وصولاً إلى علاقة حتمية فالمرسل هنا اختار هذه هذه الاستراتيجية ان كان ينوي انشاء أو تقوية العلاقة بينه وبين المخاطبْ ، ويسعى بفضلها إلى تقوية اواصر القربى بينه وبين الملتقي بأن يعبر عن تقديره إلى المرسل إليه ، واحترامه

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب – مقاربه تداولية – ، ص259 .

[2] – المرجع نفسه ص 257 .

[3] – يونسي فضيلة ، استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني دراسة تداولية ، جامعة مولود ، رسالة مقدمه لنيل شهادة الماجستير ، تخصص اللغة والادب العربي ، قسم اللغة العربية وآدابها والعلوم الانسانية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دت ، ص 86 .

وإعطائه مكانه لائقة وللعلاقة أيضاً ، بما يجعله واثقاً بأن المرسل يميل إليه ميلاً طبيعياً خاليا من أي دوافع أو أغراض منفعيه . وهذا هو غرضه التأدب والتخلق في الخطاب ، إذ أنَّ الأول " مقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به ... لذلك ، تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصاً على أن يحافظ على التواصل حتي يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسها ولمخاطبه ، طمعاً في أن يبادله نفس الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة . وعلى هذا يكون الداعي إلى التأدب في الكلام وقضاء المصالح والفوز بالخدمات ، بحيث يوجد بوجودهما وينعدم بانعدهما "[1] .

أما الثاني (التخلق) فهو ما يطلق عليه باستراتيجيه الاحترام والتبجيل ويختلط مفهومها بمفهوم الاستراتيجية التضامنية ، فهي تجسد درجه من التضامن ، ولكنها ضعيفة ، لأنها تميل إلى المحافظة على التعامل الحيادي وحفظ حقوق المرسل إليه أكثر من ميلها إلى غيره ، فهي ليست الاستراتيجية التي تتبع طموح المرسل لتحقيق التضامن بالدرجة التي يرغبها . ومن جهة أخرى ، فقد تقتضى التبجيليّة اعتبار المصالح والأهداف النفعية فيتخذ هذا الأمر الأولوية على النظر إلى التعامل الأخلاقي بالخطاب [2]ومن المهمّ أن يكون التعامل الأخلاقي الأولوية ، وقد قال طه عبد الرحمان فيه : " ثبت أن التخلق يدعوا المتكلم إلى الخروج عن الأعراض والغَنَاء عن الأعواض ، فقد لزم أن الكون الباعث عليه تحقيق مزيد من الإنسانية للمتكلم ، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد الغير على اعتبار الذات ، بحيث لا تصح بسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به ، ولا يحصل للمخاطب هذا الأنس المطلوب حتى يشعر

[1] – طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 ، ص 223 .

[2] – ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب – مقاربة تداولية – ص 258 .

بأن المتكلم قد تخلّص في أقواله وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره "[1]وقد جعل الخطاب القرآني التعارف وإقامة العلاقات والصِلاة وتقويتها بين الناس عامة ، هدفاً من أهداف الوجود البشري الاساسية ، لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات 13) . فالله عز وجل بدأ خلقه بذكر وأنثي ومنهما جاء بسائر البشر الذين انتشروا في الأرض وتفرقوا أمماً وقبائلاً وأقوام .

قال شعراوي في تفسيره هذه الآية " وحكمته من هذا الجعل أن يتعارف الناس أي يعرف بعضهم بعض " [2] ويقصد من الجعل هنا تعبير الناس جميعاً أمماً مختلفة الأوطان بالغة ألا وهي التعارف " فالتقسيم الذي ألهمهم الله إياه نظاما محكماً لربط أواصرهم " [3]

وقال الصابوني " أي جعلناكم شعوباً شتى وقبائل متعددة ليحصل بينكم التعارف والتآلف لا التناحر والخالف ..."[4] . والتعارف هنا يكون بإقامه العلاقات بينهم وتمتينها وتقويتها ولا يتأتى هذا إلى بتجاوز خلافتنا والتعارض على كل ما من شأنه أن يعيق هذا التعارف ويقول طه عبد الرحمان صبنا بعض أساسيات إقامة العلاقات الناجحة المتمثلة في الابتعاد عن مواطن الخلافات بين متواصلية « ومما يزيد هذا البعد الاجتماعي رصوخاً ، هو محاولة تجاوز الخلافات في الرأي بين التحاورين تجاوزاً لا يأتي بالحل الوحيد بقدر ما يأتي بحلول

---

[1] – طه عبدالرحمان ، اللسان والميزان ، ص224.

[2] – محمد علي الصابونى ، صفوة التفاسير ، دار الفكر ، طبعة جديدة منقحة مصححة ، ج 3 ، ص 219.

[3] – محمد متولي الشعراوي ، ج 2 ، ص 259 .

[4] – المرجع نفسه ، ج2 ، ص 260 .

متوازنة ومعتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عنصرها وتستجد مطالبها عبر الزمن »[1] فحتي أقيم علاقه ناجحة مع الغير وأكون متضاماناً معه يجب أن أتجاوز كل نقاط الاختلاف التي بيننا وأركز على مواطن الاتفاق وأطورها وأقويها وهذا ما دعا إليه الخطاب القرآني في الآية 46 من سورة العنكبوت قال تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾

وقال الصابوني : " وأما أهل الكتاب فإنهم آمنوا بإنزال الكتب وإرسال المرسل إلى الاعتراف بالنبي عليه السلام ، فلمقابلة إحسانهم يجادلون بالأحسن " [2] . جاء القرآن ليعلمنا الطريق الأنجح والأمثل في معاملتنا للغير وإن كنا على خلاف معه ، فيجب أن التركيز على نقاط الاتفاق بيننا فنهانا عن كل أسلوب فض في التحاور مع الآخر المخالف (لو كنت فض غليظ القلب لنفضوا من حولك) ، فلا نحاوره إلى بأفضل الاساليب (التي هي أحسن) من خلال استعمال طرق الأدب والمجاملة والكلمة الطيبة فالكلام اللين يفتح أبواب من حديد ، وكذلك بالبحث عن نقاط الاشتراك التي يمكن أن نلتقي فيها معه والتي من شأنها أن تكون انطلاقه طيبه في النقاش وهي كثيرة منها وقولوا آمنا بالذي أنزل إليكم ، قال الصابوني " آمنا بالقرآني الذي أنزل إلينا وبالتوراة والانجيل التي أنزلت إليكم [3]

[1] – طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ط 2 ، 2000 ، ص 37 .

[2] – الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 426

[3] – المرجع نفسه ، ص 427 .

وإلهنا وإلهكم واحد ، وهنا يقر الطرفان المتحاوران بتسليم أمرهما لهذا الإله الواحد وذلك باستعمال الضمير " نحن " (ونحن له مسلمون) وهو ضمير يجعل المتحاورين مختلفين مجموعة واحدة متجانسة ، فالقرآن يدعونا إلى استخدام الأساليب المتأدبة وهاته الأساليب نجدها مجسده في الاستراتيجية التضامنية . وهاته الأساليب تتكون من كلمات ومفردات من قبيل عبارات المجاملة والمسامرة والأدب والتحية والأسئلة عن الأحوال الشخصية وغيرها لغرض إقامة العلاقات الاجتماعية وإنّ القصد من هذه الأحاديث على ما يبدو لا يعدو أن يكوّن العلاقات الاجتماعية أو تأكيد تلك العلاقات وتثمين أواصرها فوظيفتها الأولى إذا ، وظيفه اجتماعية إذ ليس فيها من الأفكار أو معلومات ما هو هام يحتاج إلى توصيل من فرد إلى آخر" ولهذه الوظيفة أهمية باعتبارها الوظيفة التي تحقق البعد الاجتماعي للإنسان " [1] وهذا لا يعني بالطبع أن هذه الوظيفة قليلة الأهمية بل إنها في الواقع إحدى الأسس التي يقوم عليها الشعور بالانتماء الاجتماعي [2]

ويتحقق البعد الاجتماعي بإقامة العلاقات بين أفراد المجتمع باستخدام الاستراتيجية التضامنية في الخطاب التي قد تقصد لذاتها وقد تقصد لأهداف بعدية وعليه تعتبر الاستراتيجية التضامنية هنا استراتيجية تمهيدية ، بل هي مدخل لأنواع أخرى من التواصل الذي قد يحتاجه المرسل .

وتعتبر التحية من أبسط أشكال استخدام هذه الاستراتيجية من قبل المرسل فهي تضامن مبدئي يستخدمه المرسل اتجاه المتلقي وكذا السؤال عن أحواله والاطمئنان على صحته ،

[1] – نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب ، د .ط ، د ت ، ص171 .

[2] – المرجع نفسه ص ، 172.

هذا التضامن يحدث بين المتعارفين كما يحدث بين الغير المتعارفين ومثل ذلك « الاحاديث التي تدور في الحافلات التي يجتمع فيها الناس من لا يعرف بعضه البعض معرفة جيدة أو أنهم يعرفون بعضهم معرفة جيدة ، لكنهم يجتمعون بشكل متكرر جدا لدرجة أنهم لا يجدون موضوعا مهما يتحدثون فيه »[1] . وإلقاء التحية يكون بمجرد الالقاء كما يكون تمهيد وفي كلتا الحالتين يتم عن تقدير المرسل للمتلقي واعطاءه مكانه ، وهذا يرسى قواعد طيبه لإقامة علاقة حسنة ، ونلمس الاستراتيجية التضامنية في الدرس اللساني عند الحديث عن وظائف بدأ بالوظيفة الإنجازية كونها تكتسب مادتها من اللغة الطبيعية المستعملة في الحياة اليومية (الخطاب) لغرض التعبير عن المقاصد وتحقيق الاهداف ، كما تربط هذه الاستراتيجية بالوظيفتين التعاملية والتفاعلية لكونهما وظيفتان تهتمان أساساً باللغة في السياق استعمالها على حد قول (براون ويول) . فالوظيفة التعاملية هي اللغة المستعملة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال ، أما الوظيفة التفاعلية فهي تقوم بإقامة العلاقات الاجتماعية وتمتينها [2].

2- الاستراتيجية التضامنية والحضور السلطوي: هناك عاملان يؤثران عن المرسل في اختيار استراتيجية الخطاب ، من حيث اعتبار علاقته مع غيره وهذان العاملان هما :

1 – العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه التي قد تتدرج مع الحميمية إلى الانعدام التام ويسعى المرسل ، في هذه الحالة ، إلى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب .

2 – السلطة ، فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الأخر ، عندما يعلوا الآخر درجه وقد لا يمتلكها أي منهما عندما تساوي درجتهما ، أو عندما لا يربطهما أي علاقة قد

[1] – نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص172 .

[2] – ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – ص 24، 25.

يفضل المرسل أن يتعامل مع المرسل إليه بخطاب رسمي يؤكد على رغبة من إبقاء الفرق بينهما كما هو ، وبرغم هذا ، فإن هذه الرغبة ليست على إطلاقها فقد يرغب المرسل ، رغم السلطة ، في التضامن [1] والسلطة التي نقصدها هنا هي السلطة في مفهومها العام سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم دينية أم غير ذلك ويعرف أحمد زكري جدوى السلطة " القدرة على التأثير ، وهي تأخذ طابع شرعيا في إطار الحياة الاجتماعية ، والسلطة هي القوة الطبيعية أو الحق الشرعي في التصرف أو إصدار الأوامر في مجتمع معين ، ويرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي يقبله أعضاء المجتمع بوصفة شرعية ومن ثمة يخضع لتوجيهاته وأوامره وقراراته " ، ومن أهم سمات هذه السلطة حسب ما ورد في التعريف (التأثيرية) أي أن صاحب السلطة له القدرة على التأثير فيمن أقل منه سلطه ، ومن سماتها " الشرعية " بمعنى المقبولية بين الأطراف الاجتماعية المختلفة بسبب المركز الاجتماعي لصاحب السلطة ولا تخرج الموجود السلطوي أثناء حالات التواصل في السياقات المختلفة عن الواحدة من الحالات الآتية :

الأولى: كون المرسل أعلى سلطة من المتلقي

الثانية: كون المرسل أداتي السلطة من التلقي

الثالثة: كونهما متكافئتين سلطوياً .

أمّا الحالة الثانية فإن المرسل يسعى إلى استخدام هذه الاستراتيجية كونه أدنى منزلة من المتلقي والضعف مركزه يضطهر إلى إظهار الاحترام والتقدير والتبجيل للمتلقي " وقد يستخدم الاستراتيجية التضامنية رغبة منه في رفع الكلفة وزيادة التلقائية في التعامل والتخاطب إذا رأى المرسل من المتلقي تتقيلا لذلك أو سمحت دواعي السياق والمقام باستخدامها من دون

[1] – الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 25 .

حرج وقد ذكرت هذه الاستراتيجية تحت مسمى استراتيجية التأدب في العديد من الراسات العربية الحديثة في مجال التداولية " [1] . ويستعمل هذه الاستراتيجية كثير في خطاباتنا اليومية كقولنا : أستاذي الفاضل ، يا سيدتي ، سيدي المدير ...

وقد ورد في القرآن الكريم مواضع عدة تتمثل هذه الاستراتيجية كسوره يوسف مثلا ، نجد سيدنا يوسف في بداية هذه السورة بخطاب أبوه يقوله يا أبتي حينها أراد أن يخيره عن الرؤيا التي رآها وكذلك في آية مئة في قوله ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ ﴾ مناداة سيدنا يوسف بلفظ يا أبتي يعتبر تضاماناً كونه سبب هذا الأب له " والتاء في (أبَتِ) تاء خاصة بكلمة الأب بكلمة الأم في النداء خاصة على نية الإضافة إلى المتكلم فمفادها يا أبي " كما استعمل إخوته لفظ " أبانا " في أكثر من موضع في خطابهم مع أبيهم . قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 11) ، ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 17) ، ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 63) ، ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا

[1] – طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 12 ، ص 206 .

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 81) ، ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 97) .

« وابتداء الكلام مع أبيهم بقولهم " يا أبانا " يقض أن تلك عادتهم في خطاب الابن أباه »[1] ، لم ينادوا إخوة يوسف أبيهم بيا نبي الله مثلا بل اعتمدوا لفظ أبنا لأخيه جرت العادة على ذلك ولأنها وقعها له أثر على القلب والنفس ، وهم بذلك يعبرون على توددهم وقربهم لأبيهم ونجد إخوة يوسف كذلك يستعملون هاته الاستراتيجية مع عزيز مصر في موضعين الأول في قوله ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 78) ، ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة يوسف ، الآية 88) .

وفي الموضعين " بدأوا ترقيق قلب من يسمعهم بعد تفخيمهم له فهو الأعلى وهم الأدنى "[2] فنادوا بالعزيز أي المالك المتمكن وكذلك صاحب الأخلاق الكريمة ثم تقديم شكواهم " فوصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضي الترقيق عليه وهي : حنان الأبوة ، وصفة الشيخوخة ، واستحقاقه جبر ، خاطرة لأنه كبير قومه أو لأنه انتهي في الكبر أقصاه ؛ فالأوصاف

[1] – طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ج 12 ، ص 227 .

[2] – محمد متولى الشعراوي ، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول (ص) ، دار القدري ، ط 1 ، 1423 هـ / 2006 م ، ص 227 .

مسوغة للحث على سراح الابن " وقولهم إنا نراك من المحسنين أي لا نرد سؤالنا فمثلك لا يصدر منه ما يسوء ابا شيخا كبيرا [1] .

وفي الموضع الثاني يقول الشعراوي : وقد اختاروا مدخل الترقيق والتفخيم كلون المكر ، فالتفخيم بندائه يلقب العزيز أي المالك المتمكن " يعنى هذا النداء أن ما سوف يطلبونه منه هو أمر في متناوله سلطته "[2] . " وجملة أن الله يجزي المتصدقين " تعليل لاستدعائهم التصدق عليهم [3] .

مما تقدم نقول أن بالرغم من أن إخوة يوسف أدنى منزلة إلا أنهم سعوا من خلال خطاباتهم المتضمن لألفاظ معينه إلى التقرب من يوسف عن طريق استراتيجية التأدب والتضامن من أجل بلوغ غايتهم ، الأولى اطلاق سراح أخيهم والثانية تعيف بضاعتهم المزجاة .

أما الحالة الثالثة فهي كون كل من المرسل والمتلقي في منزلة واحدة سلطوياً ، وهذا هو الغالب الأعم المنتشر بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، والتي تكون متجانسة لأسباب اجتماعية أو مهنية أو ثقافية أو غيرها ، وفي هذه الحالة ليس هناك فرق بين أفراد هذه الفئات في استخدام الاستراتيجية التضامنية وذلك تلبية للحاجات النفسية الاجتماعية المختلفة للمتواصلين ، إذ أن الانسان يميل إلى الاجتماعية بطبعه ، ومن أمثلة هذه الحالة العلاقات القائمة بين الفئات المتماثلة كالعلاقة بين الأستاذة أو بين العمال .

ولقد ورد في القرآن الكريم مواقف خطابية كثيرة من هذا النوع نذكر منها ما جاء على لسان ملكة سبأ في قوله تعالى ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن

[1] – محمد الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 36.37 .

[2] – ينظر :محمد متولى الشعراوي ، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول (ص) ، ص 227 .

[3] – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 47 .

سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النمل ، الآية 44) في هذا المقام المرسل ملكة سبأ والمتلقي الملك سليمان فطرفا الخطاب متساوين في السلطة .

أمر سيدنا سليمان بناء صرح ممرد من قوارير حتي يستقبل فيه ملكه سبأ " ليرى بها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ... فلما رأت ما أتاه الله جلاله ما هو فيه ، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم ، واسلمت الله عز وجل ...وأسلمت مع سليمان الله رب العالمين " [1] فملكة سبأ ذكرت اسم مفردا ولم تردفه لبني سليمان مثلا فبإسقاط ملكة سبأ الكلفة بينها وبين سيدنا سليمان عليه السلام ، كان خطابهما تضامنيا الذي يكون عادة بين الأقران وبين المتشابهين في الحالات أو الوضعيات الاجتماعية الذين لا يتفاصلون سلطة ، ويكون الخطاب التضامني بين أفراد هذه الفئات لا تحكمه قيود في العادة ، والتي ترجع في كثير من الأحيان إلى التباين السلطوي أو التمايز الاجتماعي.

3- القواعد التي تعتمد عليها الاستراتيجية التضامنية: ينتقي المرسل الاستراتيجية التضامنية كطريقة لإبلاغ خطابه إلى المرسل إليه ، وبما أن الاستراتيجية التضامنية في مجملها تهدف إلى تأسيس العلاقات الاجتماعية وتطويرها وتنميتها ... فهي تعتمد على قواعد ومبادئ تحقق هذا القرب وأهم هذه المبادئ .

- مبدأ التأدب : وعى القران الكريم على مراعات بعض المبادئ في الخطاب كالتأدب والتهذب والملاطفة والحكمة والموعظة الحسنة ، لأن منهج الدعوة يقتضي ذلك ، لقوله تعالى

[1] - محمد علي الصابوني ، مختص تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم ، بيروت، المجلد2 ،ص673.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ سورة النحل الآية 125.كما نجدوا رسولنا الكريم ﷺ استعمل هذا المبدأ لقوله " ما بال أقوام " لعدم التشهير بمن ارتكبوا المخالفات الشرعية وانما اتخاذ من فعلهم مثلاً لموعظة المسلمين .[1]

وهو من المبادئ التداولية التي رسمت معالمها (روبين لاكوف) والتي تساهم في بناء التخاطب ملخصة اياه في صيغة " كن مؤدباً " والتي مفادها وجوب تحلي طرفي الخطاب بالتأدب من أجل تسهيل عملية التواصل وتحقيق الغاية التي من أجلها أنشأ الخطاب [2]

واقترحت عددا من القوانين سمتها قوانين التأدب وهي

- **قانون التعفف** : لا تفرض نفسك على المخاطب .
- **قانون التخيير** : لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه .
- **قانون التودد** : لتظهر الود المخاطب ، كن صديقاً

وقد وضع ليتش مبدأ التأدب الأقصى ووضع له ستة قواعد هي : قاعدة اللباقة ، قاعدة السخاء ، قاعدة الاستحسان ، قاعدة التواضع ، قاعدة الموافقة ، قاعدة التجانس ، وقد جعل القاعدة الاولى هي القاعدة الاساسية أما القواعد الأخرى فهي قواعد متفرعة عنه [3]

- **مبدأ التصديق** : اقترح طه عبد الرحمان مبدأ التصديق وقد صاغة كما يلى : " لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك " [4]

---

[1] – ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية – ص 93.

[2] – يونسي فضيلة ، استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني ، ص 90

[3] – ينظر ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 266، 265 .

[4] – طه عبد الرحمان ، الليسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 249.

وينبني هذا المبدأ على عنصرين أحدهما نقل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي من المخاطبة ، والثاني تطبيق القول الذي يتعلق بالجانب التهذيبي منها . فهو يعتمد على نوعين من القواعد : قواعد التواصل ، قواعد التعامل

قواعد التواصل المتفرعة على مبدأ التصديق : تتفرع علي مبدأ التصديق في جانبه التبليغي قواعد مضبوطة ، نجدها مجتمعة ومفصلة عند الماوردي لكتابه (أدب الدنيا والدين) وهي :

أ – ينبغي للكلام أن يكون لِداع يدعو إليه ، أما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر

ب – ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته يقتض هذه القاعدة بأن يكون لكل مقام قول يناسبه .

ج – ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته ، إذ أنها توجب الاكتفاء بالضروري من الخبر كما توجبه تلك ، حتي إذا خرج الكلام عنها بالتقصير كان باصطلاح الماوردي « حصراً » أو خرج عنها بالتكثير كان باصطلاحه ايضاً « هذراً »[1]

د – يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم وهنا يشترط صحة المعاني وفصاحة الالفاظ مع اتباع أساليب الوضوح لأن أي خروج عن هذه القواعد سيجعل المعنى مختلا واللفظ مستغلا إذ قيل " أن يكون لفظك رشيقاً عذاً وفخماً سهلاً ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً ..."[2]

ج – قاعدة الاخلاص : لتكون في تودك للغير متجرداً عن أعراضك ، وذلك بتقديم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه ، وتبنى هذه القاعدة على التأدب المتبادل ، بحيث كلما زاد

---

[1] – طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 249 ، 250 .

[2] – ابو عثمان عمر بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ، مجلد 4 ، 1998 م /1418هـ، ص 136.

أدب أحدهما دعا ذلك الأخر إلى زيادة فيه ، فلا تنقصه زيادة أدبه شيئا ، وإنما ترفعه في عين الأخر رفعاً .

وعليه فإن مبدأ التصديق التراثي يرتقي بالجانب التهذيبي من المخاطبة ارتقاءً إذ بفضله يخرج هذا التهذيب من مرتبة (التأدب الاجتماعي) المغرض و الذي لا يتجاوز الكياسة و المجاملة و المداراة إلى مرتبة (التخلق) المخلص الذي ينشد الكمال في السلوك [1]

-مبدأ التواجه(نظرية الوجه): وضع براون و ليفنسون مضمون هذا المبدأ في دراستهما المشتركة « الكليات في الاستعمال اللغوي ظاهرة التأدب » و صيغة هذا المبدأ " ليتصن وجه غيرك " وقد جعل الوجه هو رمز التعامل الخطابي ، و قسماه إلى ما يعني المرسل وما يعني المرسل إليه ، متوهين إلى أنه لا يمكن التلفظ بالخطب إلى باستعمال استراتيجية خطابية معينه ، ويكون اختيار الاستراتيجية وفقا لمعايير ثلاثة هي :

1 – البعد الاجتماعي بين المرسل والمرسل إليه ويمثل هذا المعيار (تشابه العلاقة)

2 – العلاقة السلطوية بينهما ، ويمثل هذا المعيار (العلاقة المختلفة)

3 – القيود التي تفرضها الثقافة التي ينتج فيها الخطاب .

وبالتالي كان عدد الاستراتيجيات عندهما خمس استراتيجيات هي :

1 / استراتيجية التصريح ،

2 / استراتيجية التأدب الايجابي

3 / استراتيجية التأدب الاقصى

4 / التلميح

5 / الصمت .

[1] – طه عبد الرحمان اللسان و الميزان ص253

وقد قسم من بولن ولكسولن استراتيجيات (براون وليفنسون) السابقة إلى قسمين عامين هما

1 – استراتيجيات التأدب التبجيلي التي تتم عن الاحترام والتعامل الرسمي ويتضمن ذلك التأدب السلبي ، والتلميح واستراتيجية الصمت

2 – أما الصنف الثاني فهو استراتيجيات التأدب التضامني الذي يتم عن الصداقة الحميمية ، والانتماء إلى الجماعة وهي تتضمن التصريح والتأدب الايجابي [1]

و هناك مبدأ اخر هو مبدأ التعاون " لبول غرايس " و صيغة هذا المبدأ « ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه » و له أربعة قواعد و هي :

1/ قاعدة الكم

2/ قاعدة الكيف

3/ قاعدة الاضافة او العلاقة (علاقة) الخبر بمقتضى الحال

4/ قاعدة جهة الخبر[2]

و لكن هذا المبدأ و إن كان له الفضل في فتح باب واسع في تطوير التداولية اللغوية و تنويع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الانساني ، إلا أنه اهتم بضبط الجانب التبليغي من التخاطب ، أما الجانب التهذيبي فأسقطه ولم يهتم به على رأى طه عبد الرحمان .

ومما سبق نقول أن مبدأ التصديق لطه عبد الرحمان هو أفضل المبادئ واكملها جميعاً ، و يجب أن يكون هو الأصل الذي يقرر في الممارسة التراثية الإسلامية العربية فارتباطه بما جاء به الاسلام جعله متكاملاً بين التبليغ والتعامل ومطابقاً للشريعة الإسلامية .

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 263 ، 264 .

[2] – طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان ، ص 238 .

4- العناصر المتحكمة في الاستراتيجية التضامنية: يوجد العديد من العناصر الاجتماعية التي تتحكم في اختيار الاستراتيجية التضامنية ، وترتبط هذه العناصر بالمرسل والمتلقي والسياق الاجتماعي ولقد ذكر الشهري في كتابه ستة عناصر استنبطها من تعريف هدسون لتضامن « يختص التضامن بالمسافة الاجتماعية بين الناس وبتجاربهم الاجتماعية وخصائصهم الاجتماعية المشتركة (مثل الديانة والجنس والسن ومسقط الرأس والعرق والمهنة والاهتمامات) ، ومدى استعدادهم للمشاركة في مسائلهم الشخصية الخ »[1] ومن هاته العناصر نذكر :

أ – طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه : تكون العلاقة بين المرسل والمتلقي على ثلاثة أضرب:

1 – علاقة قوية ثابتة فيكون استخدام الاستراتيجية التضامنية بشكل اوسع وأشمل كما يكون ذلك بين الأصناف الاجتماعية المتساوية على حد قول الشهري وهم أفراد العائلة الواحدة أو الأصدقاء والمجموعة المتجانسة ذات الاهتمامات المشتركة .

2 – العلاقة بين طرفي الخطاب غير المؤسسة ، فيكون استخدام الاستراتيجية التضامنية تدريجيا ، لأن المرسل والمتلقي تنقصهما المعلومات عن بعضهما فستخدم هذه الاستراتيجية بشكل بسيط وتقوى بعد ذلك كلما قويت العلاقة ، وتكون من أصناف الاجتماعية المتساوية وغير المتساوية على حد سوى.

3 – العلاقة سيئة بين طرفي الخطاب فيكون الهدف من وراء استخدام هذه الاستراتيجية وهي التبرئة أولاً ، ونفي المرسل كلما ينسب إليه ومن الأمور السيئة التي سبب سوء العلاقة بينه وبين المتلقي لتتوسع بعد ذلك كلما تحسنت العلاقة بينهما ، ويمكن أن نلمس طبيعة

[1] – هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ترجمة الدكتور محمد عياد ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1990 ، ص192.

ودرجة العلاقة القائمة بين الطرفي من خلال « مفردات النص وتراكيبه كدليل إلى علاقة المتخاطبين في النص أو طبيعة العلاقة الرابطة بين المشاركين في الحدث التواصلي ، فقد تكون ودية وليست رسمية ...أو غير ذلك » [1]

وفي قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام مع ضيوفه مثال لذلك قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ (هود ، 69 – 70) . فمن خلال ما ورد في الآية الكريمة من مفردات نستشف علاقة ضيوف ابراهيم بإبراهيم فقولهم " سلاما " دليل على معرفتهم به حق المعرفة هم رسل الله الذين أمرهم بتبليغ بشارته إلى ابراهيم وبالتالي سيحمل خطابه سيمات تضامنية التي تنم عن معرفتهم السابقة به ، وإلقاء السلام والتحية في كل الاعراف عن كل الشعوب مدخل أساسي لافتتاح الخطاب وهو يحمل مؤشرات واضحة « قبل أن يوضح المرسل لإبراهيم عليه السلام البشارة التي جاؤوا من أجلها ، يعلمن الحق سبحانه والمقدمات اللازمة للدخول إلى الاماكن ، فمن أدب الدخول إلى أي مكان أن أسلم على أهل هذا المكان » [2]

[1] – جيلي هدية، استراتيجيات الخطب القرآني سورة آل عمران نموذجا –مقاربة لغوية تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص معجمية قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات ،جامعة محمد الأمين دباغين سطيف2 ، 2016–2017 ، ص 75 – 77 .

[2] – الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج 11 ، ص 123.

من طرف آخر نجد ابراهيم عليه السلام ردّ التحية بمثلها بما يظهر ملامح التضامنية (فقالوا سلاماً فقال سلام) ، ولم يَكْتَف بذلك ، بل أسرع إلى اكرام الضيف بتقديم الطعام (فما لبث أن جاء بعجل حينئذ) ، فرد السلام وتقديم الطعام تفصح بنية ابراهيم عليه السلام بتأسيس علاقة مع ضيوفه الذين لم يعرفهم بعد . ولكن ضيوف ابراهيم لم يأكلوا ما قدمه لهم ، فنكرهم وأوجس منهم خيفة " أي أحسن في نفسه خيفة منهم وأضمر ذلك " [1]فعاجلوه بخطاب تضامني جديد مطمئن افتتحوه بقولهم (لا تخف) في محاولة لإزالة التوجس والاستنكار الذي لحق به ، لينتقلوا بعد ذلك إلى تصحيح الوضع وبناء علاقة معه وذلك بتعريفهم بهويتهم (إنا رسل ربك) وهنا " مكاشفة منهم إياه بأنهم ملائكة " [2]

ومما سبق نجد أن هذا الموقف الخطابي بما يحتويه من مفردات وتراكيب يبين بشكل واضح أثر طبيعة العلاقة بين المتواصلين في تحديد استراتيجيتهم الخطابية ، وانتقاء ما يناسبها من أدوات وآليات .

ب– مدى التشابه والاختلاف الاجتماعي : غالباً ما ننتقي استراتيجية التخاطب المناسبة بناءً على هذا المعيار أو العنصر إذ يتحكم أشد التحكم وخاصة في الاستراتيجية التضامنية ، فالاختلاف بين المتخاطبين يَحُدُ من استخدام هذه الاستراتيجية إلى حد ما ، مما يستوجب تعويضها باستراتيجية أنسب للمقام ، فاستخدام هذه الاستراتيجية بين المدير والموظف مثلا غير استخدامها بين الموظفين.

بالمقابل نجد الاتفاق بين المرسل والمرسل إليه يزيد من نسبة التضامن لأن الاشتراك في جوانب عدة من الحياة بين المتخاطبين يفضي إلى تشكيل مساحة اتفاق بينهما، هذه

[1] – الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج12 ، ص118.

[2] – المرجع نفسه ، ص118

المساحة تجعلهما يتفقان في عدة أشياء كالمنطلقات والآراء والأهداف والغايات ...، وهذا ما نجده بين الفئات الاجتماعية المتساوية أو المتقاربة، كأبناء الحي الواحد أو الأساتذة أو الأصدقاء أو رجال الشرطة....

كما يمكن أن نقول أن هذا الاتفاق ليس مطلقا بين المتخاطبين ، فقد يتفقان في الجانب المهني مثلا باعتبارهما يشتغلان في المجال نفسه ولا يتفقان مثلا سياسيا أو فكريا بسبب اختلافهما في خياراتهما السياسية والفكرية ، فيكون التضامن بينهما قويا في الجوانب المهنية وأقل منه في الجوانب السياسية أو الفكرية . كالمعلمين مثلا ، قد يتفقون في المنطلقات والوسائل والأهداف والبرامج والمحتويات و...، باعتبارهم ينتمون لقطاع واحد ويخضعون لنفس القوانين وتحكمهم ضوابط مشتركة، فتجمعهم نقاط عدة تجعل من الذين ينتمون إلى هذا القطاع ينفقون في نقاط عدة كاضرباتهم ومقاطعتهم للتدريس لغايات محددة أو ...فيكون التضامن بينهم قويا في حين نجدهم يختلفون لو ناقشوا فكرة خارج هذا الإطار كالسياسة أو أي شيء آخر وفيه يكون التضامن بينهم ضعيفا.

ج-عامل الكم التواصلي بين المرسل والمتلقي: (مدى تكرار الاتصال): يتحكم هذا العنصر في الاستراتيجية التضامنية في الخطاب فيزيد استخدامها بتكرار التواصل ويقل استخدامها بتراجع هذا الاتصال[1] فكلما زاد الاتصال بين الطرفين أخذ كلا منهما فكرة أوسع عن الآخر ففي بداية الاتصال تكون المعرفة سطحية ثم تندرج إلى العمق، حيث تنتقل من معرفة اسمه وسنه إلى معرفة جوانب أخرى في حياته، كحالته المدنية والمالية والعملية ، ومعرفة جل اهتماماته وميولاته الشخصية، هذا التعارف خلق أرضية اتفاق واسعة بسبب نقاط الالتقاء بين

[1] ينظر: المرجع السابق ، استراتيجية الخطاب ، ص260

الطرفين الذي أنتجه هذا التعارف، وعليه يكون استخدام هذه الاستراتيجية استخدام واسع في اتصالهما.

وكلما قل التواصل تراجع استخدام الاستراتيجية التضامنية حتى وإن اتفق الطرفان في مساحة الاهتمامات المشتركة، وذلك لأن الجوانب النفسية لكل طرف تبقى خفية عن الآخر كالمزاج والقيم وطبيعة التفكير وهذا يؤدي إلى الحد من استخدام الاستراتيجية التضامنية

وهناك عناصر أخرى ، كدرجة التآلف [1] وهذا العنصر غالبا ما نجده بين أفراد العائلة الواحدة كحوار الأم مع ابنها :

الأم: كيف حالك يا وليديَ

الابن: لا بأس يا ميمتيَ.

الابن هنا استعمل أسلوب التصغير في رده على أمه ويستعمل الأطفال هذا الأسلوب كترديد لما يسمعه من الكبار ، وليبدوا مهذبين لدرجة التآلف.

وفي هاته العناصر كلها يجب توفر شرط الإخلاص ، كما قال عامر عبد قيس "إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان"[2] بقصد التضامن عن كل غرض ، بحيث يدركه المرسل إليه أو يلمسه في الخطاب .

5- مسوغات الاستراتيجية التضامنية :يلجأ المرسل حين يرغب في التضامن مع الآخرين إلى استخدام بعض المصوغات والبواعث الفاعلة ، من أجل تحقيق حاجته ،

[1] ينظر: المرجع السابق ، استراتيجية الخطاب ، ص260

[2] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ت عبد السلام هارون ، 1998 ، ص83.

فالاستراتيجية التضامنية ما ترمى إليه أولا هو التعامل الأخلاقي مع مراعاة تبليغ القصد والتعبير عنه .[1]

حيث تنقسم هذه المسوغات بدورها إلى صنفين : مسوغات عامة وأخرى خاصة

أوّلاً – مسوغات خاصة :

1 – تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب: أو إعادة تأسيسها أو تحسينها .

يسعى جميع الناس على هذه الأرض لإقامة علاقات مختلفة مع أناس آخرين فتتنوع هذه العلاقات من علاقه إلى أخرى ، فقد تكون علاقة عمل أو معرفة أو احترام ، أو علاقات عاطفية ، اجتماعية أو نفسية

لكن من أسمى وأرقى العلاقات أنواع العلاقات بين الناس هي الصداقة فالإنسان يبتغى أن يحقق من وراء هذه العلاقات مكانة متميزة في المجتمع الذي ينتمي إليه ، ويعيش فيه ، ولأجل إقامة هذه الصداقات وتقويتها فإنه قد يلجأ إلى استخدام هذه الاستراتيجية في الخطاب مع الآخرين من خلال إظهار الاهتمام بهم والحرص على إقامة وتقوية روابط الصداقة التي بينهم .

فيمكن أن تكون الصداقة عابرة ومؤقتة ، ويمكن أن تكون صداقة حقيقية دائمة ، فالصداقة لا تعني البقاء مع الصديق لفتره طويلة من الزمن ولكنها تعني البقاء على العهد والوفاء والحب مهما طالت المسافات او قصرت ، الصداقة الحقيقية من أجمل العلاقات التي يمكن أن تنشأ في كل الأوقات والظروف والأزمان ، فيمكن أن تحدث خلال فترة الدراسة المدرسية والجامعية أو في العمل أو في المجتمع الخارجي أو في أي مكان وأي وقت .

[1] – ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 261 .

فقد ذكرت الصداقة في مواضع متعددة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الفرقان ، 17-28)

- ومن خلال الآيتين يخبر تعالى على ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق المبين لا مرية فيه ، وسلك طريقاً آخرى غير سبيل الرسول .

بمعنى أنه لو اتبع الرسول وطريق الحق ، ولم يتحذ أي يتبع ويضع الشخص السيئ صديقاً له ليجره إلى طريق الشر ويصرفه عن الهدى والعدول إلى طريق الظلام وعدم رضى الله سبحانه .[1] وقوله ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة النور ، الآية 61)

[1] - ينظر : محمد علي الصابوني ، مختص تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 8 ، 1402 هـ ، 1981 م ، ج 2 ، ص 630 .

– فجعل تعالى الصديق مع الأقارب وهذا فيه نوع من تقريب الصديق والتحبب والتعاطف معه .

ولا تخفى أهمية الصداقة من ناحية الجانب النفسي ، لها دور كبير " تتفق معظم البحوث النفسية المتصلة بوظائف الصداقة على أن الأصدقاء يؤدون دور كبيراً في خفض مشاعر القلق والتوتر عند الصديق ، وذلك يدعم المشاعر الإيجابية السارة وابعاده عن الوحدة التي يشعر معها بعزلة حقيقية "[1]

فالإنسان من خلال ما يواجهه من مصاعب وتحديات الحياة المختلفة ومشاقها فهو بحاجة إلى من يخفق بعض ما يحمله على كاهله من أعباء النفس وذلك لا يكون إلى من خلال الافضاء والحديث إلى الأصدقاء الذي من شأنه أن يحد من مشاعر القلق والتوتر والشعور بالوحدة ويمنحه قدرا وافراً من الارتياح النفسي .

أما ما ترمي إليه الصداقة الاجتماعية من آثار " توفر الصداقة للأفراد ، إضافة للسمات الشخصية ، مجموعة من المهارات والقدرات المرغوب فيها اجتماعيا ، بما يسهم بارزاً في ارتقاء الادوار الاجتماعية والقيم الأخلاقية " [2]

وذلك ما نجده أن الانسان له دور اجتماعي منطوٍ به لا يتأتى له القيام به إلا من خلال ممارسة بعض المهارات الاجتماعية فهي أيضاً لا تتم إلى من خلال ما تهدف إليه الصداقة الاجتماعية .

[1] – عيسى الشماس : الصداقة عند الشباب الجامعي ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 28 ، العدد الثاني 2012 ، ص 21.

[2] – المرجع نفسه ، ص 21 – 22 .

مثال عن الصداقة : كان هناك صديقان في الصحراء وأثناء سيرهما ، اختصما ! فصفع أحدهما الآخر ، فتألم الصاحب لصفعة صاحبه ولم يتكلم بل كتب على الرمل (اليوم أعز أصدقائي صفعني على وجهي)

وواصلا المسير ووجدا واحة فقررا أن يستحما في الماء ... ولكن الذي انصفع وتألم من صاحبه غرق أثناء السباحة فأنقذه صاحبه الذي صفعه ولنا أفاق من الغرق ابتسم ثم قام ونحت على الصخر (اليوم أعز اصدقائي أنقذ حياتي) . فسأله صديقه :

عندما صفعتك كتبت على الرمل ...!

لكن عندما أنقضت حياتك من الغرق كتبت على الحجر . فلماذا ؟

فابتسم وأجابه : عندما يجرحنا من نحب علينا أن نكتب ما حدث على الرمل لتمسحها رياح التسامح والغفران ولكن عندما يعمل الصديق شيء رائع علينا أن ننحته على الصخر حتى يبقى في ذاكرة القلب حيث لا رياح تمحوه . لذلك يجب أن تبنى علاقة الصداقة على قواعد صحيحة ومتينة بين المرسل والمتلقي « التضامنية هي السبيل إلى الصداقة حيث تماثل ما تدعوه بالألفة » [1] . فوجود التضامنية بين طرفي الخطاب (المرسل والمتلقي) ينتج عليها آثار إيجابية وتكون صداقة دائمة .

2 – تحسين صورة المرسل أمام الآخرين:

إذا كان معروفا بسوء الأخلاق مثلاً ، أو معروفا بالشدة في آرائه ، والتسلط في تعامله ، أو توخى الطريقة الرسمية والجفاء في خطابه [2]

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 261 .

[2] –المرجع السابق ، ص 261 .

فتحسين صورة المرسل مع الآخرين تأتي إلا من خلال مهارات معينة يتوجب عليه إتقانها منها .

- **السمات الشخصية:**

- **الموضوعية:** وهي القدرة على التصرف والتحدث وإصدار أحكام غير متحيزة

- **الوضوح** : وهي القدرة على التعبير عن الأفكار بوضوح ، وأن تكون اللغة المستخدمة بسيطة والمادة العلمية منتظمة ومتسلسلة منطقاً .

- **الصدق** : يعنى أن يعكس حديثه حقيقة مشاعره وأفكاره وآرائه أي مطابقة الأقوال للأفعال وكذلك الظاهر بالباطن .

- **الدقة** : وهي التأكيد من الكلمة التي نستخدمها تؤدي المعنى الذي نقصده ، وكذلك يعني الدقة في المعلومات والتأكد من صحتها .

- **القدرة على التذكر:** وتعنى خضوع الذهن أثناء الحديث حتي لا يظهر الفتور في ما تقدمه للناس ، بل حاول دائماً أن تضيف معلومات جديدة أثناء الحديث .

- **الحماس** : لأنه يجعل المتحدث أكثر حيوية ووضوح مما يجعل الحديث أكثر قابلية للتصديق .

- **الاتزان الانفعالى** : ويقصد به أن يظهر المتحدث انفعاله بالقدر الذي يتناسب مع الموقف ، وأن يكون متحكما في انفعالاته ، والسيطرة على مشاعر العصبية والقلق والتوتر والخجل .

-**المظهر** : ويعني المظهر العام مجموعة من الجوانب هي : النظافة والأناقة الشخصية والملبس والمظهر المناسب للحالة الصحة سواء النفسية والبدنية [1]

[1] - ينظر : محمد الأصمعي ، نحو تحسين الاتصالات الفعالة في تعليم الجامعي ، ص 76 – 78 .

- **البشاشة والود** : وهي تخلق جو اجتماعيا بين المتحدث ومستمعيه يسوده التعاطف والمشاركة والرضا والحب والصداقة والألفة .

- **القدرة على التعبيرات الحركية** وتشمل : المؤثرات الصوتية والسلوكيات الحركية والاوضاع الجسمية المختلفة ومن أمثلة هذه السلوكيات (طريقة الجلوس ، الاشارة باللسان أو الرأس أو اليد أو الأصبع) [1]

فكل مرسل يسعى إلى تحسين صورته أمام الآخرين لكنه قد يتفق بعض المهارات وأن توفرت جميعها في المرسل فإنه حتماً سيكون هذا الأخير إما داعية ماهر أو خطيب محنك أو رسول مرسل .

وأيضاً ما نجده في القرآن الكريم من قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه حين اتهموه قوله تعالى ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ ﴾ (سورة الأعراف ، الآية 58- 62) . فسيدنا نوح عليه السلام حينما اتهمه قومه بالضلال والعدول عن الصواب ، فكان رد نوح عليه السلام يوضح فيه أولا نفي

[1] - ينظر ، المرجع نفسه ، ص 79 .

التهم المنسوبة إليه وثانياً تحسين صورته ، وذلك باستخدام الاستراتيجية التضامنية وتقوية موقفه أمامهم [1].

ثانيا : مسوغات عامة :

1 – تفعيل التضامن في حياة الناس: عندما خلق الله سبحانه البشر جعلهم يعيشون في جماعات وذلك لأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه ، يحتاج إلى التواصل والتعاون وأيضا التضامن مع الآخرين كي يستطيع العيش ، ولا يحقق هذا الانسجام الأفراد لهذه الاستراتيجية في الخطابات اليومية

ومثال ذلك ما ورد في القرآن الكريم قصة سيدنا موسى مع البنتان في سورة القصص ، قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة القصص ، الآية 22 – 24) وسياق هذه القصة لما هاجر سيدنا موسى إلى أرض مدين ولما وصل إلى مدين بلدة شعيب وجد على البئر الذي يستقى منه الرعاة جمعاً كثيفاً من الناس يسقون مواشيهم ووجد سوى امرأتين تكفان عنهما عن الماء سألهما ما شأنكما تمنعان الغنم عن ورود الماء ؟ ولما تسقيان الرعاة مه أغنامهم عن الماء لأنهم نساء لا طاقه لهم عن مزاحمة الأقوياء والعفة تميزهم لعدم مخالطة الرجال ، حيث أخبروه

[1] – ينظر : محمد علي الصابوني ، مختص تفسير بن كثير ص 27 – 28 .

بأن أباهم رجلا مسنا لا يستطيع لضعفه أن يباشر سقيه للغنم ، ولذلك اضطر أن يسقيا بأنفسهما ، فقام سيدنا موسى بالمساعدة رحمة بهما فسقى لهما غنهما ما بين لهم أهمية التضامن وتفصل في حياة الناس ولم يطلب منهما مقابل ، ثم تنحى جانب وجلس تحت ظل الشجرة وقال إني يا رب محتاج إلى فظلك وإحسانك وإلى الطعام الذي أسد به جوعى وطلب من الله ما يأكله وكان قد أشتد عليه الجوع [1]

فمن وجهة نظري الباحثات فإنه رغم الجوع لم يطلب من البنتان الطعام أو أي شيء في مقابل السقي لهما وإنما طلب الله سبحانه تعالى فهو يرزق من يشاء بغير حساب ، وترك العمل الذي فعله (السقي) من باب التعاون والتضامن مع الناس لأنه يخرج روح الأخوة ويسير الأمور ففي حالة فقدانه وجد الارتباك والعجز والتردد وغياب الفعل وانعدام المبادرة وزيادة تعقيد المشكلات والأزمات وأن وجد هذا المبدأ فيخلق جو التعاون وتضافر الجهود لحل المشكلات مهما عظمت ، ومواجهة التحديات مهما كبرت .

2 – كسب ولاء الناس: يعد هذا الهدف من الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها بعض الناس ليحقق مكانة اجتماعية معينه ومنصب سياسي هام ، يجعل المرسل يؤمنون بصواب القرارات التي اتخذها ، ويتم تحقيق هذا الهدف للمرسل من خلال استخدام هذه الاستراتيجية ، فيوضح للمتلقي درجة القرابة بينها وذلك يحسن استعمالات أنا / نحن ، في الخطاب ، وأيضاً اهتمامات به وبحاجته [2] .

[1] – ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير (تفاسير القرآن الكريم) ، دار الفكر ، 1421 هـ ، 2001 م ، ج 2 ، ص 395 – 396 .

[2] – ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 262 .

وهذا نلمسه في الحياة السياسة مثل الأحزاب وما نجده في الحملات الانتخابية حيث تتم خطاباتها بشيء من الوعود لجعل المستقبل أفضل من واقعي: أهم ما جاء في خطاب رئيس تبون .

أنا مرشح المجتمع المدني ،

أتمنى التوفيق في أصعب مهمه لتشكيل الحكومة ، أعد بالمفاجأة السارة في الحكومة المقبلة لتعيين وزراء في العشرينات من أعمارهم لأول مرة ،

لن أحرم أي جزائري من أي شيء بحجة التحكم والاستيراد ،

لم أفرد برأي ، وسألتزم بالحوار في كل شيء [1].

وأيضاً ما يستعمله رجال التسوق (التجارة) مع الزبائن في الوقت الحالي ونبنى بعض استراتيجيات الساعدة للحفاظ على الزبائن عن طريق تنمية وتقوية العلاقات معه [2]

بل حتي عند عامة الناس فإنهم يعمدون لاستخدام هذا الاستراتيجية في خطابهم لتحقيق أهدافهم .

ومن أمثل سعى المرسل إلى تحقيق هذا الهدف ما ورد في القرآن في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ، وذلك قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة القصص

[1] – قناة النوتيوب ، أهم ما جاء في خطاب الرئيس تبون اليوم ، ب ياسين ، 13 ديسمبر 019 2م ، الساعة 19:55 ، https://aljazair1.com.

[2] – نجاح يخلف ، دور التسويق العلاقات في كسب ولاء الزبائن ، اطروحة دكتوراة ، دراسة ميدانة لشركة الاتصالات تخصص اقتصاد تطبيقي وادارة المنظمات، اشراف د ، مسعود طحطوح ، 2017 ، 2018 ص 45 .

، الآية 38) . فالمرسل في هذا المقام التواصلي هو فرعون مصر وسيدها، وهو المطاع وصاحب السلطة المطلقة فشعر فرعون بأن سلطته مهددة بما أتى بها سيدنا موسى من الدعوة وتلطف الخطاب مع القوم كسب ولاء الناس ، خاف فرعون من ميل قومه اتجاه دعوة الحق .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ أي فرعون يقول لأشراف قومه وسادتهم ، ورغم سلطته وقوته يتخذ الاستراتيجية التضامنية كاستراتيجية خطابية ، وتتجلى معاني التضامن في تذكير قومه بأنه ملكهم وصاحب الفضل ولغرض التسلط قال ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أي أرى وأشاهد إله موسى الذي زعم أرسله وقال بعده ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فهو استخدم في خطابه الاستراتيجية التي من ضمنها تزيد من شأنه لأنه يخاطب أسياد قومه فهم يسعون لإرضائه وطاعته فأراد أن يستهزئ بسيدنا موسى ودعوته، ولكن في الآيات الموالية حث على استكبار فرعون وجنوده وكيف كانت عاقبة الظالمين.[1]

3- الاستعداد لخدمة الآخرين: يستخدم المرسل هذه الاستراتيجية عند رغبته في خدمة الآخرين لأن ذلك يعزز روابط الصداقة ويقوي ويمتن العلاقة القائمة بينه وبين الآخرين حبذا ولو كان صاحب سلطته، لأن قبول الطلب ينم عن رضا الطرفين عن رغبتهما ، فبالتالي لن يكون هناك إراقة لماء الوجه سواء الجانب أو الدافع وإنما يكون من السبل الكفيلة بتحقيق استمرارية سلطته فمثلا السياسي الذي يكون بعيدا عن استخدام هذه الاستراتيجية التخاطبية

[1] ينظر: المرجع السابق، صفوة التفاسير (تفسير القرآن الكريم) ، ص399.

لغرض خدمة الأخرين سرعان ما تتراجع مكانته وسلطته وشعبيته[1] ويمثل استعمالها فرقا واضحا في الحياة الأسرية ، بين الآباء الذين يتعاملون مع أبنائهم من واقع السلطة ، فيلمس الأبناء ذلك فيرددون أن أباهم يعاملهم وكأنهم أجانب، بينما نجد بعض الآباء في تعاملهم مع أبنائهم بدرجة كبيرة من الحب والعطف والحنان فقدوا سلطة الأبوة فينادونهم في بعض الأحيان باسمه الأول فقط دون أن يعطوه حق الأبوة.

مثال: الأب لابنه: تصبح على خير أحمد.

الابن لأبيه: تصبح على خير يا علي.

ولعل ما يحد للمرسل إن كان صاحب سلطة فإنه قبل أن يستخدم هذه الاستراتيجية يتحقق منها أولا إن كانت مضرة وتؤثر على منزلته وبالنسبة للآخرين أم لا ، لأنه في الحقيقة يريد تعزيز مكانته ، فقد يلجأ لاستخدام مقدار ما يحقق له ذلك.

ما يتضح لاستعداد خدمة الآخرين ليس بالضرورة رفع المرسل للسلطة الكلفة بينه وبين المتلقي لدرجة فقدان منزلته وسلطته ، وإن كان أقل سلطة فإنه يسعى إلى الخضوع عند صاحب السلطة وذلك من خلال استعداده لخدمته.

4 – أهمية استعمالها في الحقول التعليمية :

حيث يكون التأدب والتخلق في الخطاب مع الطالب وسيلة تيسير الفهم ونزع الحب ، فتصبح طريقاً للعلم وسبيل إلى المعرفة [2]. يعول مربي رياض الأطفال والمعلمون على استراتيجية تضامنية كطريقة لإبلاغ خطاباتهم لمتعلميهم وذلك بالاعتماد على آلياتها التي تعتبر من

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص262.

[2] – المرجع السابق ، استراتيجية الخطاب ، ص 261 .

أساليب التعليم النشط (التعليم الناجح) الطرفة (التعليم باللعب) والتصغير مثل مناداة الأطفال مثل يا بني ، يا ولدي ...

ونجد هذه الاستراتيجية تكون حيث ما يكون التعليم برمته يعمد المعلم إلى انتهاجها بطريقة لكسب التلاميذ ولفت انتباههم وتوصل ما يرغب فيه إليهم ، بكل يسر ، وكذلك الأستاذة في أي مرحلة أخري من مراحل التعليم يعتمد عليها بنفس الغرض

فنحن الطلبة مثلاً نفضل الأستاذ الذي يتميز بأسلوب لطيف في تعامله بل نجد أنفسنا تميل إليه ونستوعب ما يشرح ، خلاف الأستاذ الجاف في التعامل وهذه هي طبيعة النفس البشرية كلما وجدت الليونة ألفت وكلما وجدت الصرامة هجرت .

كما حث الله نبيه عليه الاسلام في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية 159) .

حيث نجد ما يتضح من خلال الآية المذكورة فإن خطاب الله للرسول ﷺ فهو توصية الله لنبيه وكيفه التعامل من جانب اللين والرأفة ، وحسن المعاملة فهو مبدأ من مبادئ ديننا الحنيف ، أراد الله أن يذكر نبيه وأيضا أخذ العبرة لبني آدم ، فلا يكون التعليم بطريقة ناجحة إلا إذا كانت معتمدة على مبدأ التأدب والتخلق والرفق مع المتعلمين .

5- استثمار استراتيجية التضامن في التحقيقات: تستخدم هذه الاستراتيجية في عملية التحقيق وذلك للحصول على نتائج إيجابية في التحقيق فإنه يعمد في استخدامها من جانب إراحة المتهم وتطمينه وزرع الثقة في نفسه[1]

وفي نفس الوقت يضمن النتيجة المراد الوصول إليها وذلك يكون ضمن الخطاب المتبادل والجاري بين المحقق والمتهم ، يستعمل المحقق هذه الاستراتيجية لتسهيل الأمر عليه فيستدرجه في الحديث وإزالة الغموض ومنحه الراحة وعدم الخوف وبأنه سوف يساعده وتخف العقوبة عليه ، وربما منحه العفو إن لم يعسر الأمر أثناء الاستجواب وهذه الاستراتيجية يستعملها أيضا بعض الأشخاص مثل الوالدين ليحققوا مع أبنائهم في شيء قد حدث أو المعلم أو المربي مع التلاميذ ، وأيضا أصحاب العمل مع موظفيهم...إلخ.

لكن الشائع هو ما نجده في قضايا التحقيق التي يستعملها القضاة في كل أنواع الجرائم .

ومثال ذلك من قصة واردة من التاريخ: كان ملك المسيح يدعى (آريس) يحكم قلعة كبيرة ويتعامل مع أحد القادة المسلمين الخائنين الذي كان همه الوحيد هو السلطة وكسب المال ، فكان يكشف عن بعض الأعمال التي يقوم بها السلطان والقادة المسلمين ، وبعد مدة تم فتح القلعة وقبض الملك أثناء التحقيق معه أراد أن يعترف بالقائد الخائن الذي يتعامل معه فلم يعترف لأنه ظن بأنه سوف يقتل بأي حال من الأحوال وبعد معاناة التحقيق معه ، أعطيت له ليلة كاملة حتى بزوغ الفجر وإذ لم يعترف يعدَم وعند بزوغ الفجر أتو به أمام السلطان للإعدام وقبل الحكم عليه طلب منه إن يعترف يطلق سراحه ويخلى سبيله ، فاختار الاعتراف على الإعدام وكشف القائد الخائن وتم القبض عليه وطلق سراح الملك المسيحي ،

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص262.

عند العفو عنه أعجب بعدالة المسلمين فاعتنق الإسلام[1]. فمن خلال هذه القصة أنه عند استخدام الاستراتيجية سهلت أمر العملية وحققت الهدف المنشود.

[1] – قناة اليوتيوب ، مسلسل قيامة أرطغول ، الحلقة 107 ، ج1 ، 20ديسمبر 2019م ، مساءً.

الفصل الثاني: أبعاد الاستراتيجية الخطابية التضامنية في سورة "طه"

1- التعريف بالسورة

2 - أسباب نزول السورة.

3 - أغراض السورة.

4- الأدوات والآليات اللغوية للاستراتيجية التضامنية

5- الاستراتيجية التضامنية في خطابات الله لأنبيائه

أ- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لرسوله وأبعادها التداولية

ب- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله مع سيدنا موسى عليه السلام

ت- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لسيدنا آدم عليه السلام

6- خطاب نبي الله موسى عليه السلام لقومه

1- التعريف بالسورة : سورة "طه" هي الخامسة والأربعين في ترتيب النزول نزلت بعد سورة مريم وقبل سورة الواقعة[1]. وردت هذه السورة في الجزء السادس عشر في الحزب اثنين وثلاثين في الربع التاسع ، وقد اختلف في عدد آياتها فعدت عند أهل مكة والمدينة مئة وأربعا وثلاثين وفي عدد أهل الشام مئة وأربعين وفي عدد أهل البصرة مئة واثنين وثلاثين ، وفي عدد أهل الكوفة مئة وخمسا وثلاثين [2].

2- أسباب نزول السورة : من بين أسباب نزول سورة "طه" هي :

أولاً : أن النبي ﷺ يراوح بين قدميه ، يقوم على رجله حتى نزلت الآية ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [3]

ثانياً : لما نزل القرآن على النبي ﷺ قام وهو وأصحابه فصلوا ، فقال كفار قريش ، ما أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد ﷺ إلي ليشقي به ، فأنزل الله تعالى « "طه" » يقول : يا رجل « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »

ثالثاً : قال أبو جهل ، والنظر بن الحارث للنبي ﷺ إنك لتشقي بترك ديننا ، وذلك لما رأياه من طول عبادته و شدة اجتهاده ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [4]

3- أغراضها : احتوت سورة "طه" من الأغراض و الأهداف على :

- التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها

---

[1] – الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، 1984 م ، ج 16 ، 180 .

[2] –المرجع نفسه ، ص 181 .

[3] – السيوطي ، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر ، لبنان ، 1433 هـ ، 2011م ، ج5 ، ص 549 .

[4] الوحدي ، اسباب النزول ، دار الاصلاح ، تح : عصام بن عبدالمحسن الحميدان ، السعودية ، 1412هـ ، ط2 ، ص303 .

– التنويه بأنه تنزيل من الله لهدي القابلين للهداية وعظمة الله تعالى وإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

– بسط نشأة موسى وتأييد الله إياه ونصره على فرعون بالحجة والمعجزات ويصرف كيد فرعون عنه وعن أتباعه

– إنجاء الله موسى وقومه ، وغرق فرعون ، وما أكرم الله به بني اسرائيل من بلد القبط

– قصة السامري وصنعه للعجل الذي عبده بنوا اسرائيل في مغيب موسى عليه السلام

– تذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم

– إثبات البعث وتهويل يوم القيامة وما يتقدمه من الحوادث والأهوال[1]

– إن الله عز وجل جعل الإنسان مخير في اختياره ، لأي الطريقين يسلك (طريق الهداية وطريق الظلال) وذلك بما حثت عليه السورة بإرسال الرسل التي كانت مهمتهم إبلاغ الناس عن هاذين الطريقين

– السعادة الدائمة تكون باتباع طريق الهداية ، على عكس طريق الظلال الذي يؤدي إلي الشقاء لعدم تصديق ما بلغ به الرسل ومهمة البعث .

4–الأدوات والآليات اللغوية للاستراتيجية التضامنية:

أ/ **الأدوات اللغوية:** تتمثل الأدوات اللغوية في العديد من النقاط نذكر منها :

1/– اسم العلم: يشير مصطلح العلم في النحو إلى أنّه(ما وضع لعين لا يتناول غير)[2] وهناك أدوات لغوية للدلالة على العلم "وهي الاسم عموما" والكنية واللقب تتفاوت من ناحية

[1] – طاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، المرجع السابق ، ص 181 – 182 .

[2] جلال الدين السيوطي ، مجمع الجوامع في شرح همع الهوامع ، تح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1،(1418هـ–1938م)، ج1، ص232.

تجسيدها للاستراتيجية التضامنية فأبرزها الاسم ، فالكُنية ، فاللقب فهذا هو الترتيب في قوة دلالتها على التضامن.

1-1-1/ الاسم الأول: يستعمل في الخطاب لنداء المتلقي أو عند الحديث عنه أو قُرْبه قُرْبا ماديا أو عاطفيا ، ويستعمل المرسل اسمه عند التعريف نفسه.

-إذا كان المرسل أعلى من المرسل إليه أو لديه استعداد لمحو ذلك التراتب.

-إذا كان المرسل أدنى مرتبة ولمس ورغبة لدى المرسل إليه و تسامحا في محو ذلك التراتب.

-إذا كان متساويين في عنصر أو أكثر مثل: السن ، الدرجة، الوظيفة المهنية[1]

1-1-2/الكُنية: يستعمل المرسل الخطاب بالكنية عوضا عن الاسم الأول وذلك من أجل التضامنية مع المرسل إليه مع قدر قليل من الرسمية ، ويُعدّ استعمال الكُنية مؤشرا حقيقيا لِاستراتيجية التضامن مع المرسل إليه وكذلك التعظيم والتفخيم من شأنه.[2]

1-1-3/ اللقب: يُعدّ استعمال اللقب دلالة على التضامن بتنغيم مناسب لسياق والمعنى والقصد المُراد، ويستعمل اللقب:

-عندما يكون المرسل لا يعرف اسم أو كنية المرسل إليه .

-ويستعمل في الخطابات الإعلامية بوصفها مؤشرا على التضامن مع المرسل إليه .[3]

- يستخدم في خطابات النصح .

---

[1] ينظر: عبد الهادي بن ضافر الشهري استراتيجيات الخطاب ص 270-272.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص273-275.

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص275.

وهناك ألقاب كثيرة مثل ألقاب يمنحها الحق الوظيفي مثل ألقاب كبار الموظفين وكبار الضباط مثل: فخامة الرئيس.

-تكمن أهمية الألقاب في إبداع الإحساس بالتضامن مع المرسل إليه فيما يستعمله بين ألقاب بين أفراد العائلة مثل: يا صغيري، يا عزيزي.

تعد كذلك ألفاظ القرابة فرع من الألقاب وهي: ابن ،أخ ،أخت، أب ،عم ....إلخ.

ويستعمله المرسل :

1- عندما يكون لديه خيار باستعمال غيرها ، ولكنه يفضلها لدلالة عن التضامن مثل : زرت خالي عبد الملك.

2- أو فيما ليست حقيقة له مثل: كأن يقول الطبيب للمريض: بماذا تشعر يا ابني، واستعمالها دليل على التضامن تداولياً بشرط أن يتلفظ بها المرسل بتنغيم مناسب للسياق.[1]

1-1-4/ إجماع الثلاثة: قد نجد في الحالة الواحدة أكثر من أداة من أدوات السالفة ، وهي تتفاوت من حيث دلالتها على التضامن وتدور بترتيبها في النحو العربي كالتالي: فالاسم أولا ثم الكنية ثم اللقب.

1-2/ - ألفاظ المعجم: هناك كلمات أخرى من غير ألفاظ القراءة تتمثل دلالتها في التضامن والتقرب من المرسل إليه وتعد مؤشرات لغوية من خلال إنجاز بعض الأفعال اللغوية مثل : مبروك ، أُهنّئك .

وكذلك الأفعال بقوالبها الصرفية المتعددة كالفعل المضارع مثل: يخدم، يطيع ...واسم الفعل ، وصيغة الأمر وصيغة المبالغة والتعجب.[2]

[1] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق، ص276-283.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق، ص 283 ، 284 .

1-3/ الضمائر: تعد الضمائر من أهم الوسائل التي تجسد الاستراتيجية التضامنية وذلك لأنها تحمل معنيين هما : معنى ظاهر للحظة ومعنى يُستَكشف من خلال السياق .

وتنقسم الضمائر بدورها إلى نوعين : ضمائر منفصلة وضمائر متصلة.

* **تعريف الضمائر المنفصلة:** «هو ما يمكن أن ينتقل بنفسه نطقا ، ولا يحتاج إلى كلمة أخرى يتصل بها»[1]

مثل نحن فداء للوطن فنحن أداة إشارية تجمع المتكلم بالمرسل إليه وهي مؤشر على أننا كلنا مسؤولون على حماية الوطن.

-وتصنف الضمائر المنفصلة إلى مجموعات منها :

-ما يدل على المتكلم (أنا، نحن) ومنها ما يدل على المخاطب (أنت، أنتِ ،أنتما، أنتم، أنتن).ومنها ما يدل على الغائب (هو، هي ،هما، هم ،هن) .

1-3-1/- أنتَ: فالضمير أنت في معناه الظاهر يشير إلى المخاطب المفرد وهذا ما يوصف بأنت التعاونية ويقصد بها "تلك التي يستعملها المرسل في مخاطبة المرسل إليه ، فإذا دار حوال بين اثنين ، أو جرى بينهما أي نوع من أنواع الخطابات فإن كلا من الطرفين يستعمل أنت عندما يكون مرسلا ، وكثير ما يحدث هذا بين الناس الذين يكونون على علاقة حميمية ، أو الناس الذين يحتم عليهم القانون الاجتماعي التساوي في المراتب"[2] فالضمير أنت يدل على التضامن مع المرسل إليه « وقد يستعملها المرسل لمخاطبة المرسل إليه الذي

[1] سعيد محمد ، النحو المصفى، مكتبة الشباب، القاهرة-مصر، 1980 م ص 140 .

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق، ص 224.

تعرف عليه حديثا كما أنه يلجأ إلى استعمالها لتجسيد الاستراتيجية التضامنية ، مع المرسل إليه المفترض خصوصا في وسائل الإعلام التي لا تعرف هويته المرسل إليه بالضبط»[1]

وهذا ما نلحظه في الإعلانات والخطابات التجارية والإشهارية وكذلك اللافتات مثل : عائلتك في انتظارك، فالضمير (الكاف) ينوب على استعمال الضمير أنت وهذا دليل على التضامن مع كل من يعبر هذا الطريق.

1-3-2/- أنتم: يستعمل المرسل الضمير أنتم للدلالة على المخاطب الجمع ولكن تداوليا قد يستعمل « لمخاطبة المرسل إليه المفرد إذا كان ذا مرتبة أعلى لأنه يجسد هذا الاستعمال الاحترام والرسمية، وبالتالي فهي تتضمن درجة أقل من التضامن أما عندما يستعمل المرسل (أنت) فإنه عن درجة أقوى من التضامن والتقارب إذا كان المرسل إليه يعلو درجة ويمتلك سلطة أقوى عندما لا يكون هناك معرفة سابقة بين طرفي الخطاب فإن المرسل قد يستعمل أنتم بدلا من أنت لأنها الأعلى رتبة في السياق التداولي ، وتؤدي وظائف كثيرة منها : إخبار المرسل إليه أن المرسل يحترمه ويعلي من شأنه بل ويراعي الفارق بينهما في التعامل ، وبهذا يكون قد عبّر عن استعداده للتقارب الخطابي مع المرسل إليه باستعمال الاستراتيجية التي تؤسس العلاقة الاجتماعية[2]»

1 – 3- 3/ نحن: ضمير نحن له استعمالان ، استعمال نحوي كونها دالة على ضمير الجمع المتكلم أو على تعظيم المفرد[3]. واستعمال تداولي دال على التضامن ونحن« يستعملها المرسل بوجهين الوجه الأول عندما يجمع في الخطاب بين ذاته والمرسل إليه دلالة التضامن

[1] ينظر: استراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق، ص 289.

[2] المرجع نفسه ، ص 290-291.

[3] عباس حسن ، النحو الوافي ، ج1، ص 235.

1-3-4: تعريف الضمائر المتصلة: هناك ضمائر يمكن أن يستعاض بها عن الضمائر المنفصلة ومن هذه الأحرف ما هو سابق للفعل وله دلالة الضمائر المنفصلة مثل حرف النون إذا اتصل بالفعل المضارع يتجاوز وظيفته النحوية الدالة على زمن الفعل إلى الدلالة على التضامن نيابة عن الضمير المنفصل (نحن) وكذلك استعمال حرف الكاف مع الميم للدلالة على المخاطب الجمع ومن الضمائر المتصلة كذلك ، الكاف الدال على المخاطب المفرد سواء المذكر أو المؤنث ، المنصوب أو المجرور بحرف الجر أو بالإضافة وكذلك حرف الكاف الدال على التمليك مثل: لك معلمتي أو استعمال الحرف الدال على المذكر عند مخاطبة جمهور مختلط مثل الجمهور الإعلامي الذي لا يختص بجنس دون الآخر مثل: الوطن وطنكم. وهناك أدوات أخرى تساهم في التضامن مثل: أهلا بكم في بلدكم الثاني بوصف الوطن بأنه ثان، بدلا من (وطنكم) فحسب وكذلك الكاف المتصلة عوضا عن التاء في أنت ، أو عوضا عن أنت بأكملها وذلك في مخاطبة المفرد مثل: راحتك- سعادتك، وكذلك الضمير المتصل (نا) الذي يحل محل (نحن)[1] مثل: أعطونا الحرية.

1-3-5: أسماء الاشارة :يعرفه النحويين بأنه (اسم يعين مدلوله تعيينا مقرونا بإشارة حسية إليه)[2] (وتقسم أسماء الاشارة بحسب المشار إليه إلي قسمين : قسم يجب أن يلاحظ في المشار إليه من ناحية أنه مفرد أو مثنى أو جمع مع مراعاة التذكير والتأنيث والعقل وعدمه في كل ذلك ، وقسم يجب أن يلاحظ في المشار إليه أيضا ولكن من ناحية قربه أو بعده أو

[1] ينظر، الشهري ،استراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص 298، 300

[2] - **عباس حسن ، النحو لوافي ، دار المعارف ، مصر ، ص321.**

التوسط بين القرب والبعد)[1] ويقصد بالقرب أو البعد فهذا مثلا تشير إلي القريب وذلك إلي البعيد.

يقول الأزهر الزناد مبينا أهمية السياق في تحديد دلالة أسماء الاشارة (إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها فإن أسماء الاشارة الزمانية والمكانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الاشاري ، وهي تماما مثلها لا تفهم إلا إذا ارتبطت بما يشير إليه ، ويجري تقسيمها في اللغة العربية إلي أقسام المعروفة باعتماد المسافة قربا أو بعدا)[2] أي أن أما الاشارة لا تفهم إلا إذا وضعت في سياق معين .

فأسماء الاشارة هي من الادوات التي تحقق الاستراتيجية التضامنية ، واذا كانت أسماء الاشارة وضعيا بعضها يشير الي القريب وبعضها الآخر إلى البعيد والتضامن كأن يقول أحدهم عندما يسأل عن رأيه في شخص ما: ذلك الرجل الصدوق ، فالمرسل يبادل بين أسماء الاشارة القريب والبعيد فهذه الألية من الآليات التي يستعملها التضامن ويعمد إلي استعمال ما يشير إلى البعيد للإشارة به إلى القريب [3].

أما الوجه الثاني فهو عندما يستعمل الضمير نحن التي يقصد بها المرسل إليه فقط.»[4]

---

[1] – المرجع السابق ص321–322 .

[2] –الازهر زناد ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ط1، 1993 ، ص117–115.

[3] – ينظر ، استراتيجيات الخطاب ، ص301.

[4] ينظر: الشهري ،استراتيجيات الخطاب، ص292.

ومن أمثلة الاستعمالات على الوجه الأول وهو الذي يقصد فيه أن يكون مع جماعة المتكلمين فعليا وتضامنيا فهو مثل قول المرسل في جماعة من المتلقين «نحن الأفضل عملا ...نحن الأسرع إنجازا».

أما مثال استعمالها على الوجه الثاني أن يقول الرئيس لمرؤوسه: «نحن سنقوم بإنجاز هذا العمل اليوم » ، فهو قد تكلم بضمير الجماعة التي تشمله إلا أن قصده هو أن يقوم المرؤوسون بإنجاز العمل من غير أن يشاركهم فيه كما يدل عليه ظاهرا استعمال الضمير نحن إلا أنه استعملها هنا لغرض تداولي تضامني يشعر المتلقين أن المرسل متضامن معهم ، والحدث ذاته في قول الأم لابنها " نحن سوف نكتب الدرس" فالأم لا تكتب الدرس وإنما قالت هكذا تضامنا مع ابنها كما يمكن إضافة وجه ثالث لاستعمال الضمير (نحن) يكون أقل تضامنية من الوجهين السابقين : وهو أن يستخدم المرسل هذا الضمير للتميز السلطوي.

ب- الآليات اللغوية :

- الآليات التي وجدت في سورة "طه" التي بدورها أدت إلي تجديد الاستراتيجية التضامنية فيها نذكر أولاً :

1 – المكاشفة : فالمقصود من المكاشفة هي الكشف عن الذات ، ويعدّ ذلك دليلا على القرب ، أو يعد هذا العنصر " كشف الذات " من عناصر التضامن ، فالناس تتفأوت من ناحية اطلاع الغير على الأشياء العلمية الى الكشف عن أدق الخصوصيات وذلك تكون من طريقة المرسل الصراحة مع المرسل إليه معين وهو دليل على التضامن والثقة فيه ، أو الطريقة الأخرى قد يستعمل المرسل ما يكنّى عن بعض ما يخصه مع الآخرين (المرسل إليه) ، من خلال بعض ألفاظ الكناية المعروفة " وقال صاحب الكتاب : وهي كم وكذا وكيت وذيت

*فكم : هي الكناية عن العدد المبهم تقع على القليل والكثير والوسط لها ، ولها موضعان الاستفهام والخبر

*كيت و ذيت : هما كنايات عن الحدث فنقول كان من الأمر كيت وذيت وذيت "

*وأيضا كنى بفلان وهن من الاعلام والاجناس [1] .

وهذا الأخير قد لا يفصح بكل ما لديه حتى المرسل الذي يعلم عنه بعض الحقائق ، وإن أقربها ولكنّه لا يحددها ، إذ يقول لإنسان معين :

– حصلتُ على كذا منحة

بينما يصرح الآخر بعدد الحقائق للمنح ، مثل

– حصلت على عشرين منحة .

اذن فمن خلال استعداد الإنسان لاطلاع على بعض خصُوصياته الشخصية وما يخبئه بداخله عن الآخرين وما يخفيه من عالمه الداخلي ، هذا ما تكنه الاستراتيجية التضامنية وهذا التضامن يكون مبنى على مبدأ الثقة الشخصية .

2 – نكران الذات: تعد هذه الآلية من علامات الاستراتيجية التضامنية ، ويستعملها كنكران ذاته لغة أو تجاهلها ، فيحدث المرسل عن نفسه وكأنه يتحدث عن شخص آخر ، خصوصا عند من يمتلك السلطة ، وقد يكثر استعمال هذه الآلية في ما يلي:

* الخطاب الإعلامي أو المرئي ، عندما يقدم المذيع نفسه الي الجمهور: هذه نشرة الأخبار يقرأها لكم صابر المحتسب .

[1] – ينظر : عبد الهادي بن ضافر الشهرى ، استراتيجية الخطاب ، ص 302 – 303 .

* في حالة ما يعاتب المرسل (أحمد) غيره على الانقطاع وقلة الاتصال ، وعدم المواصلة فيخاطبه قائلا : لماذا لا تتصل بأحمد أو تزوده (حيث يتلفّظ باسمه عوضا عن الضمير الدال على ذاته ، وكأنّه يتحدّث عن غيره)

* في حالة إنجاز المرسل (خالد) عملا حسنا ، مما يجعل الأخرين يشيدون بعمله ويثبتون عليه كونه أهلا لذلك ، فتكون ردة فعله في قوله:

. ليس مجهود خالد ، بل هو مجهود الجميع وليس خالد إلا واحد من المجموعة .

. أو ، لا يريد منكم عمر جزاء ولا شكورا .

فهذه الحالة ما تحدث في الخطابات الاجتماعية .

* في حالة ما يفعله الكتاب أو المؤلفون ، عندما يحيلون الى ذواتهم بالخطاب التالي :

. انظر كاتب هذه السطور

. محمد بن عاشور (وهذا يكون قد ذكر اسمه الأول دون اللقب العلمي)

* في حالة التقرب من الآخرين وهذا ما يستعمله الاطفال للتقرب الى والديهم ، بإثارة كوتمن العاطفة بدلا استعمال الضمير المناسب للإحالة الى ذواتهم مباشرة ، مثل قول الطفل لأبيه : احمل ولد (بدلا من احملني)[1].

فكل هذه الحالات تمثل عنصر أو آلية نكران الذات وهذه الاخيرة تكمن من خلالها تحقيق ما يعرف بالاستراتيجية التضامنية ، لها دور فعال في تحقيقها وذلك عن طريق حالة من الحالات المذكورة غالباً ما تميزها الخطابات سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة

3 : مصطلح المهنة: فمصطلح المهنة يندرج ضمن المرتبة الثانية من ين آليات المصانعة وذلك أن هذا الأخير " مصطلح المهنة " له دور فعال في تفعيل التضامن أثناء الخطاب

[1]– ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب ، ص 304 ، 305.

الذي يكون بمثابة حلقة الكلام بين المرسل والمرسل إليه . فلكل مهنه من المهن مصطلحاتها التي تواضع عليها أصحابها [1] .

دائما هناك ما يميز الجماعات المهنية عن غيرها ، حيث تنشأ بينهم مجموعة من المصطلحات المهنية والتعبيرات والاشارات التي تؤلف فيها بينها لغة خاصه لكل جماعة من هذه الجماعات [2] .

مثل: أصحاب الحرفة الواحدة ، النجارين ، الصيادين فلكل حرفه مصطلحات لغوية خاصه بهم دون غيرهم ، وأيضا أصحاب المجال المهني الواحد كمجال الطب ومجال التربية فاللغة المصطلحة عند الطبيب ليست كاللغة المصطلحة عند المعلم والمربي ، فهذا يرمى إلى أن المصطلحات الخاصة بين المجموعة الواحدة والمهنة الواحدة تحقق وجود تضامن ، فهذا لا تتعدى إلى عدم وجود تضامن بين الآخرين ، فالمرسل في هذه الحالة يستعمل أولا بعض المصطلحات التي يعرفها المرسل إليه ، بعد أن يعرف بنفسه ليكشف هذا التعارف شيئا من هوياتهم الاجتماعية والوظيفية ، مما يفتح له باب البدء بالخطوة الأولى في توثيق العلاقة والتضامن معهم [3] ، وبالتالي يصبح مصطلح المهنة من الآليات التي تحقق وجود ضمني للاستراتيجية التضامنية .

4: ذكر خصائص المرسل إليه: يعد هذا العنصر من أنواع آلية المصانعة اللغوية ، حيث نلمس من خلال ذكر خصائص المرسل إليه أنه يمكن أن يذكر المرسل في كلامه بعض المعلومات التي يجسد بها معرفته بالمرسل إليه ، ويتم هذا بإنجاز أفعال لغوية معينة حبذا

---

[1] – المرجع السابق ، استراتيجية الخطاب ، ص 314 .

[2] – مها محمد فوزي معاذ ، الانثروبولوجيا اللغوية ، ككلية الآداب جامعة الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1430هـ ، 2009 م ، ص 224 .

[3] المرجع السابق ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 314-315.

وإن كانت عبارات جديدة مخالفة لعبارات التحية والوداع المتداولة التي يبتدأ الكلام وتقوده إلى التضامن أو الصداقة الحميمية مثل: ما شاء الله عليك ، الحمد لله ، وذلك مثل أفعال الإخبار: أعتقد أنني رأيتك من قبل.

– الاستفهام: ألست أنت نائب المدير في المؤسسة؟ أو للتركيز على سمة من السمات العامة للمرسل إليه التي يعتمدها المرسل مثل سمة الوطن ، كما تفعل بعض القنوات الفضائية: – سيبث البرنامج الساعة السابعة بتوقيت السعودية .

فقد ذكر هذا الخطاب موجه لمن جنسيته سعودي بالدرجة الأولى ، وقد يتوغل البعض بالإحالة على رمز جزئي ، أو سمة جزئية للمرسل إليه مثل : سوف يعاد بث البرنامج على الساعة 9 بتوقيت مكة المكرمة.[1]

فهذا العنصر يتحقق من خلال العبارات المذكورة للمرسل إليه سواء كانت عند المرسل معلومة لديه من قبل أو استشارته ومعرفة منه ما يريد وذلك بالخطاب الذي تحققه العلاقات الاجتماعية في هي ترمي إلى التضامن فيما بينها.

5– اللغة الخاصة: تعد اللغة الخاصة خلق لغة مميزة بين مجموعة للتواصل فيما بينهم فلا يستطيع أن يتحدث بها أو يفهم غاية الكلام سواهم .

قد تعمد إلى هذه الطريقة بعض الجماعات ، دليل قرب وعلاقة وتضامن بين أطراف الخطاب الذي تكون هذه اللغة مادته ، فهذه العملية كانت تعرف عند العرب قديما بالتعميه.

ومن ذلك معرفة قانون الاعتباطية الذي يربط بين شقي الدليل ، بين الدال والمدلول ، حيث تعمد الجماعة إلى تفكيك هذه العلاقة بينهما مما ينتج عنه بقاء الدال بصورته الصوتية ، ولكن المدلول يتغير إذ يستحوذون عليه ، فلا يفقه غيرهم دلالة الألفاظ في سياقهم الخاص ،

[1] المرجع السابق ، استراتيجية الخطاب ، ص 316–317.

مع أنه يسمع ما يتلفظون به، ويدركه جيدا إلا أنه لا يفقه قصد الخطاب.[1] وهذا ما يصنعه الجماعات الخاصة ، بل حتى الأطفال حين يريدون إخفاء قول عن أهليهم ، فقد يعمدون إلى تقليب الحروف ، أو إضافة بعضها إلى الحروف الأصلية للكلمة [2] فصنع مثل هذه العمليات لم يكن أمر بديهيا ، وإنما لتحقيق غاية منشودة من قبل هذه الجماعات المتمثلة في (الجماعات العسكرية ، ومنسوبي الطيران ، واللصوص ، ...إلخ) ، وهي تضامن فيما بينهم من خلال هذه الآلية اللغوية.

6- الخطاب غير المباشر: جرت العادة على أن الخطاب الذي يوجه من طرف المرسل نحو المرسل إليه بطريقتين وهما خطاب مباشر وهو الذي يوجه المرسل كلامه (خطابه) مباشرة للمرسل إليه ، وخطاب غير مباشر وهو خلاف الأول، حيث ينصب عليه محور الموضوع . فهاته الآلية (الخطاب غير المباشر) ننظر ليها من حيث دورها في تمثيل الاستراتيجية التضامنية ، تتمثل من خلال عدم الإلحاح أو إكراه المرسل للمرسل إليه على فعل الشيء ، كما حثت عليه قاعدة التعفف عند (لاكوف) وأيضا من خلال الخطاب الذي يحفظ البعد بين الطرفين، وهذا بالابتعاد المرسل عن الأساليب المباشرة في الطلب، هاته القاعدة تفرض على المرسل عدم التدخل في شؤون المرسل إليه الخاصة إلا بعد الاستئذان ،كالخطابات العامة التي يتلفظ بها المرسل تمهيدا للدخول في العلاقة بينهما ، ويعد هذا الأخير التخفيف من حدة الطلب من قبل المرسل عنصر من عناصر التضامن عملا بمبادئ (بروان وليفنسون) وبقاعدة (لاكوف) : لا تفرض ما تريده عندما يكون ترحيب

[1] ينظر : نفسه ، ص 317.

[2] ينظر: المرجع لسابق ، ص318.

المرسل إليه بالطلب هو نتيجة بدل من التذمر [1] فهذا يكون مؤشر على الاستراتيجية التضامنية ، لأنه كل ما يوجد تلطف في الملفوظ الخطابي فهو يعمل على وجود تضامن وتحقيق هذه الاستراتيجية التضامنية، ونذكر باقي الآليات الأخرى :

1- تأنيب الذات: قد تكون هذه الآلية من الآليات التي يتضامن المرسل مع المرسل إليه وذلك عن طريق تأنيب ذاته أو إظهار التحسر من خلال الخطاب الملقى . مثل هذه الخطابات(أنا الذي يستحق هذا) ، فهي من أقل الآليات استعمالا من طرف المرسل باتجاه ذاته ، وعليه فإنه " يتضمن صنف التذمر من الذات تلك الشكاوي التي ينتقص المرسل نفسه بالشكوى من قدرته ، أو سلوكه ، أو أفعاله ، أو مظهره الجسدي . ولا يتضمن هذا المحور الشكوى من السياق الذي هو فيه "[2] ، فهذا لا يعني بأن المرسل إذا استعمل هذه الآلية أن يكون مفرطا فيها لغاية النقص من مكانته ، فهو يستعملها من أجل تجسيد بما يعرف بالتضامن وذلك من خلال إظهار التضامن مع المرسل إليه باستعمال هذه الآلية ولها مواقع محددة من الخطاب ، إذ يحقق بها المقصود عند المرسل للمرسل ليه، وبالتالي فإنّ هذه الآلية التي تعدّ من الآليات الضعيفة من ناحية تطبيقها إلا أنها إن توفرت ضمن الخطاب حققت المطلوب (التضامن) بين المرسل والمرسل إليه.

2- الإعجاب (التعجب) : هو ضرب من الآليات التضامن التي يستعملها المرسل ، وهو " معنى يحصل عند المتعجب عند مشاهدة ما يجهل سببه ويقبل في العادة وجود مثله وذلك المعنى كالدهشة والحيرة ..." ، ومن المعروف أن استعمال أسلوب التعجب قد يدل على

[1] المرجع السابق ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 318-319.

[2] نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 319.

استحسان شيء ما أو استقباحه ، لكن ما استعمل هذه الآلية لإبداء الاعجاب في التداول وذلك من حيث :

– أنّ المرسل قد يستعملها في الغالب مع المخاطب .

– أنّه قد لا يوجد إبهام في الأمر ، بقدر ما يوجد رغبة لدى المرسل في إظهار تضامن مع المرسل إليه

– أنّ استعمال التعجب قد يرتبط بما يعرفه المرسل من توقعات المرسل إليه أو يقترضه وذلك بحكم العلاقة التي تربط بينهما

– أنّه يمكن استعمال هذه الآلية بأساليبها المعهودة في العربية ، وبغيرها من الاساليب .

– أنّه يمكن استعمالها مع المرسل إليه في الذهن[1] .

يتضح من خلال هذه الآلية التي يعمد فيها المرسل الى استعمال خطابات معروفه بدلالتها على الاعجاب وذلك ما يؤدي الى تفعيل التضامن مع المرسل إليه سواء كان الأب مع ابنائه مثلا (ما شاء الله تبارك الرحمان !) ، أو ورود كلمة نِعْمَ وحبذا في الكلام والعبارات من أجل المدح وهو ما يرتقي درجات التضامن مع المرسل إليه ، اذن فهذا الاخير يستلزم بدوره إلى تحقيق استراتيجية تضامنية أثناء الخطاب .

3 – التصغير: من بين آليات اللغوية التي يستعملها المرسل دلالة على التضامن ، نجد آلية التصغير وهي بمعنى القليل أو التعبير عن فكرة القلة أو الصغر للصيغ غير المصغرة أساسا ، فهو متداول بين كثير من الخطابات وقد يكون له علاقة بالثقافة من طموح الإنسان ، فكثير من الأشياء هينة عنده ، قلية في نظره ، ويستعمل المرسل هذه الآلية ليتواضع مع المرسل إليه على درجة واحدة ، سواء ذا الرتبة أعلى أو أدنى كان ، قد تتجلى هذه الآلية

[1] – ينظر : المرجع السابق ، ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجية الخطاب ، ص 305 – 307 .

بتصغير الأسماء والألقاب وللتقرب فهي من علامات التعبير عن التضامن ، مثل خطاب الأم لولدها عندما تناديه : يا وليدي ، فيجيبها الابن : نعم يا ميمتي فهي عبارات تستعمل للتضامن ، الولد عندما أن يستعملها مثل الله يوفقك يا بابا ، دعنا نذهب إلى السوق وللاسم مثل اشتريت كتيب للقواعد .أو باستعمال الألفاظ المعجمية الدالة عليه ، مثل : أكلنا قليلا من الطعام ، ولأدوات التصغير وظائف تداولية أخرى ، فهي تخفف من حدة الأفعال اللغوية خصوصا أفعال الطلب مثلا ، وكذلك تخفف من تهديد الوجه . يعد استعمال هذه العلامة ضربا من التأدب غير الرسمي ، فهو يقوى درجات الصداقة ، بل يؤسس لها علاقة ضمنية وهذا بما يتفق مع مبادئ (ليتش) مثل عبارات التهنئة ، والشكر والتعزي فهي أفعال انجازيه تقرب المرسل إلى المرسل إليه بمجرد التلفظ بها [1]. وهذا يعتبر جزء مهم من التعامل الأخلاقي الذي يصاحب التلفظ بالخطاب ، بل هو ذو الأولوية في إنجاز الافعال المناسباتية.

أيضا من بين آليات الاستراتيجية التضامنية ، آلية الترخيم لأغراض تداولية مثل : يا فاطم ! فهي تحبب إلى المرسل إليه وتقرب منه.

نلمس أن التصغير له دور كبير في تكوين استراتيجية تضامنية من خلال العبارات المصغرة المتضمنة في الخطابات المتداولة .

4 – الطُرْفَة : تعد المداعبة آلية من آليات التضامن ، المصنعة على أنها من استراتيجيات التأدب الايجابي من طرف (براون وليفنسون) فالطرائق تقوم وتتأسس على معرفة خلفية مشتركة وكذلك على القيم والمبادئ ، ولهذا يمكن استعمال هذه الآلية لتثبت تلك الخلفية أو تلك القيم المشتركة ، فالمرسل يتجاوز عند التلفظ بالطرفة مجرد دورها في التسلية ، إلى بعْدٍ

[1] – ينظر : المرجع السابق ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، ص 308 ، 311 .

أهم ، وهو التقارب بينه وبين المرسل إليه قد يكون هو القصد الأهم عنده ، لذلك كانت هي مفتاح تأسيس العلاقة في كثير من السياقات وهذا ما نلمسه في أثر الخطاب بالطرفة عندما يكون المرسل ذا سلكه سواء أكان المرسل إليه حديث عهد به ، أم لا ، هذا وقد تصل المداعبة بين المتساوين مرتبة ، أو من طالت عشرتهم لفتره طويله إلى درجه كبيرة من الاسفاف في القول والتجاوز إلى القول الغير محبب ومكروه ، فليس بالضرورة أن يستعمل هذا الأخيرة من القول ، فاستعمالها " الطرفة " في أحد السياقين يعطى انطباعا برغبة المرسل في التضامن ويريح المرسل إليه بإزالة الفوارق [1] . وشعوره بعد الخشية منها ، فهذا ما يحقق وجود تضامن وخلق استراتيجية تضامنية بما يعرف بالطرفة والمداعبة أثنا الخطاب.

5 – المصانعة : المصانعة من الآليات التي تجسد بها المرسل الاستراتيجية التضامنية ، فالمقصود بهذه الآلية العمل على منوال المرسل في اللغة فهي تقوم على طبيعة العمل ومقوماته ، ليست موافقة في الراي وإنما تتبلور عند المرسل في أكثر من آلية مثل اللحن والاعراب عند التلفظ وتتمثل هذه الآلية (المصانعة) في ثلاثة :

6 – اللهجة : فمن خلال اللهجة يمكن تحقيق تضامن ويتضح ذلك في ما يأتي ، فاللهجة في المصطلح العلمي الحديث هو مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة [2].

[1] – ينظر : المرجع السابق ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، الاستراتيجية الخطاب ، ص 311 ، 312 .

[2]– محمد كريم رياض ، المقتضب في لهجات العرب ، ص 55 .

بتعدد المجتمعات داخل البلد الواحد أو الاقليم تتعدد اللهجات وتختلف باختلافها ، فهي علامة من العلامات التي تميز إنسانا عن انسان آخر ، فهي بمثابة الأثر للبلد ، أو الاقليم ، أو القرية التي بها ، من خلال الصفات التي تميز كل لهجة .

فالمرسل عندما ينتج خطابه فإنه قد يراعي الفروق اللهجية بينه وبين المرسل إليه ، فيستعمل لهجة هذا الاخير نفسها ، أو التقرب منها فقد يتعدى القصد من إفهامه معنى الخطاب إلى التعبير عن التضامن معه والتقرب إليه ، فاللهجة من خلال استعمالها وتصنيفها مستويات تلك الصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر على مستويين المستوى الصوتي والمستوى الدلالي [1] .

أهم الصفات الصوتية التي تؤدي إلى الاختلاف بين اللهجات للغة الواحدة :

- الاختلاف في مخرج الأصوات اللغوية ، كالجيم العربية والجيم القاهرية
- الاختلاف في مقاييس اصوات اللين
- الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات
- التباين في النغمة الموسيقية للكلام
- الاختلاف في قوانين التفاعل بين الاصوات المتجاورة حين تتأثر بعضها ليس الضروري أن توجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات بل قد يوجد بعضها فقط [2].

فمن العوامل التي تؤدى إلى تفرع اللغة إلى لهجات:

- انتشار للغة في مناطق واسعة .
- العوامل الاجتماعية السياسية .

---

[1] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 213 .

[2] – ينظر: محمد كريم رياض ، المقتضب في لهجات العرب ، ص 56 ، 57 .

- العوامل الاجتماعية النفسية الأدبية.

- العوامل الجغرافية[1] .

فهي تعد أسباباً لتغيرات اللهجة فبتغير اللهجة حرف من الكلمة أدى إلى تغير إلى الأسلوب الدلالي في المعنى ، أو لدى الكلمة معاني مختلفة عند المجتمعات فبذلك يتعدى التغير من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي فالمرسل عند إنتاجه للخطاب فإنه سوف يراعى كل هذه الفروق اللهجة ليؤسس علاقة تضامنية بينه وبين المرسل إليه من خلال اللهجة .

تعريف التنغيم : من بين الآليات التي بدورها تحقق استراتيجية تضامنية

أ – لغة : النغمة جرس الكلام وحسن الصوت بين القراءة ونحوها [2]

ب- اصطلاحا: هو تغييرات تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود لبيان مشاعر الفرح والغضب ، والنفي والاثبات والتهكم ...إلخ [3] وهذا التغير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين [4] ، ولذا نجد كثير من الدراسين يطلقون عليها اسم " موسيقى الكلام .

فالتنغيم هو بدوره يحدد درجة التضامن ويحقق بأنواعه تجسيد الاستراتيجية التضامنية .

أنواع التنغيم: تختلف الكلمات والجمل من حيث درجة الصوت ، وقد قسمت إلى ثلاثة أنواع وهي :

---

[1] – ينظر : نفسه ، ص 62 ، 64 ، 65 .

[2] – الخليل أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، دار الكتب العلمية ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط 1 ، لبنان ، 1424 هـ – 2002م ، ج 4 ، ص 247 .

[3] – خليل ابراهيم عطية ، في البحث الصوتي عند العرب ، دار الحرية ، بغداد ، 1403 هـ – 1983م ، ص 63 .

[4] – محمود السعران ، علم اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 192 .

أ – التنغيم المرتفع: يتحقق عندما يرتفع درجة التلوين الموسيقي ويسميه سعيد مصلوح بالتنغيم الصاعد وهو الذي تنتهى به الجملة الاستفهامية مثلاً ، خاصة إذا ابتدأت ب " هل أو همزة " [1]

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سورة الرعد ، الآية 28) ، فهذه النغمة تبقى ثابته على حال واحد ، وهي الصاعدة في كلمة " القلوب " وذلك لأن ذكر الله يبعث الراحة في القلوب .

ب – التنغيم المنخفض: يتحقق هذا النوع من التنغيم عندما تنخفض درجة التلوين الموسيقي ، وهذا الذي تنتهى به الجملة الاثباتية ويسمى أيضاً بالتنغيم الهابط [2].

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة البروج ، الآية 11) .

ت – التنغيم المستوى: تلتزم فيه درجة التلوين الموسيقى مستوى واحد ، فهو الذي تنتهى به الفقرة التنفسية ، كما جاء في الجزء الأول من جملة الشرط مثلاً [3] ، مثال : إن تجتهد تنجح ومن هنا نستطيع القول أن النغمة الصاعدة تكون في الاستفهام والأمر وتكون الهابطة في الندبة والتفجع وتكون المستوى في الجملة الخبرية [4] .

5-الاستراتيجية التضامنية في خطابات الله لأنبيائه:

---

[1] – سيدي محمد ملوك ، النبر والتنغيم بين اللغة واللسانيات الحديثة (ماستر لسانيات) قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبو بكر بالقايد ، الجزائر ، ص 15 .

[2] – ينظر : نفسه ، ص 258 .

[3] – ينظر : نفسه ، ص 258 .

[4] – خليل عمايرة ، في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، عالم المعرفة ، ط 1 ، جدة ، 1404 هـ – 1984 م ، ص 173 .

أ- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لرسوله وأبعادها التداولية: إنّ خطاب الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام تمثله سورة "طه" كاملة ، وقد جاءت هذه السورة لتروى لنا مواقف خطابية من المواقف الواردة في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقد باشر الله عز وجل خطابه لنبيه ب " "طه" " * وكانت هذه ملاطفة من اللطيف إلى الحبيب ليخبر ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ ("طه" ، 2) ، أي أن الله لم يرد من ارساله وأنزل القرآن عليه ليشقى ، بل أنزله لسعادته وسعادة من اتبعه والشقاء الحقيقي هو الابتعاد عن القرآن وعدم الالتزام بتطبيق شريعته ، وبهذا يكون القرآن الكريم مصدر السعادة البشرية ، وتذكير للذين يخشون ربه ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ ﴾ ("طه" ، 3) فقد امتاز بمميزات أهمها كونه تنزيلا ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾(طه ، 4)، فتنزيلاً مصدر يشعر بلطف الله تعالى في التدرج بنزول القرآن
الكريم منجماً على قلب الرسول ﷺ حسب الأحداث في ثلاث وعشرون سنة ، ولا شك أن الذي خلق الأرض والسموات العلا أعلم بما يسعد الإنسان ويكفل له حياة كريمة ، فهو ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨

﴾ ("طه" ، 5 – 8) جاءت هاته الآيات تحمل كمال صفات وجمال أسماء الله جل وعلا ، فهو الرحمان بتنزيل القرآن وجعله منهج السعادة .

* طه : اختلف المفسرون في ما بين اسم من أسماء الرسول (ص) ، وطأها أي قدمين الرسول ، ويا رجل ..

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ ﴾ ("طه" ، 8) فالله علم على واجب الوجود ، بكل صفات الكمال له، الله قادر ، العالم ، الحي ... لكن هذه الصفات لما بلغت حد الكمال فيه أصبحت كاسم العلم بحيث إذا أطلق الخالق لا ينعرف إلا له [1]

إذن فالخطاب بصفة عامة يتضمن في طياته تسلية ومؤانسة لرسول الله ﷺ و " أدمج فيها ذلك التنويه بالقرآن لأن في ضمن ذلك تنويهاً بمن أنزل عليه وجاء به " [2] . كما تضمن أهم قضتين ألا وهي توحيد الألوهية في قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ ("طه" ، 5) ، وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ ("طه" ، 8) وتوحيد الربوبية الذي يعد أعظم دليل على توحيد الألوهية [3]وقد تجلى ذلك في قوله تعالى ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾ ("طه" ، 4) .

عناصر الخطاب : في هذا الموقف الخطابي متعدده : أولها **المرسل** هو الله عز وجل وقد نزلت هاته السورة حين قاد الكفار " إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك [...] ، فأنزل الله الآية فرد عليهم "[4] وثاني عناصر الخطاب **المتلقي** هو سيدنا محمد ﷺ ، قال « وتعريفا لمحمد ﷺ بأن دين الاسلام هو السبيل إلي نيل كل فوز وسبب إدراك كل سعادة وما فيه المشركون

1- طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16 ، ص196.

[2] – المرجع نفسه ، الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16 ، ص 183 .

[3] – محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير (تفسير القرآن الكريم) ، ص 211.

[4] – أحمد مصطفى المراغي تفسير المراغي ، مصطفى البابي الجلبي وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1365 هـ ، 1946 م ، ج16 ، ص 94 .

هو الشقاء بعيشة »[1]وثالث العناصر **السياق** والتفاصيل الجزئية لهذا السياق يمكن أن نستشفها من خلال الموقف الخطابي الذي ذكرنا ملامحه سابقاً ، وهي التفاصيل المتعلقة بسيدنا محمد وما قاله الكفار فيه ، وصادق الله به عليهم ، إضافة إلى هذا كل الصفات وأسماء الله ... وكذا طبيعة كل من السلطة والعلاقة ، القائمتين بين الله عز وجل وبين نبيه صلى الله عليه وسلم ، فبحكم أن السورة نزلت بين السنة السابعة من البعثة وقبل السنه الحادية عشرة من البعثة فالعلاقة قائمة مؤسسة والهدف هنا تمتينها وذلك بالمؤانسة والملاطفة من الله لرسول (ص) ، وبالرغم من أن طرفي الخطاب هو خالف الأكوان العزير الحكيم فهو يعلوا سلطة من مخلوقه سيدنا محمد ﷺ إلى أن الذي نلمسه في هاته السورة الكريمة من ملاطفة ومؤانسة ورعاية ندرك أن الله يرفع سلطة وهما يسعى إلى تقوية العلاقة الموجودة .

أما رابع هذه العناصر فهو الخطاب : الممثل في سورة " "طه" " وهي تحمل العديد من سمات الاستراتيجية الخطابية التضامنية والموقف الخطابي يظهر لنا استخدام التضامن في الخطاب .

تظهر الاستراتيجية التضامنية من خلال عدّة وسائل لغوية ، أولّها استخدام اسم " "طه" " ذهب بعض المفسرين إلى اعتبارها كلمة لغة (عك) أو عكل أو كلمة من الحبشية والنبطية وأن معناها في لغة (عك) بالإنسان أو يا رجل [...] وقيل هو اسم سمى الله به نبيه [2] ومناداة الإنسان باسمه يجعله يشعر بشيء غير قليل من الاهتمام والتضامن من قبل مرسل الخطاب فيجعل المتلقي أكثر استعدادا للتواصل مع المرسل لأن الاسم هو أحب الكلمات إلى صاحبه كما أن الضمائر وطريقة استخدامها في هذا الخطاب لها من الأبعاد التضامنية

[1] – المرجع نفسه ، احمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ص 94 .

[2] – محمد الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16 ، ص183 .

الشيء الكثير فضمير الكاف في (عليك) وهو ضمير المخاطب ، يشد انتباه المتلقي لمضمون الخطاب أيّما أشد ، فهو المعنى الوحيد بهذا الضمير الذي به يوجّه الخطاب إليه كما يجعله يشعر أن مرسل الخطاب مهتم به ، طالب لفت انتباهه وتركيزه ، كما سيعرض له من أمر الاضطلاع بالتبليغ وأخذ العبرة من قصص إخوانه الأنبياء موسي وآدم عليهما السلام وكذلك نجد هذا الضمير في الألفاظ أتيناك ، يسألونك ، إليك ، كما يتمظهر التضامن في حرف النون العائد على الذات الإلاهية في (نقصّ ، أنزلناه ، صرّفنا ...) حيث تضامن الله مع حبيبه المصطفي حين قصّ عليهم قصة موسى مع فرعون وبنى اسرائيل والسامري وسيقص عليه من أنباء ما قد سبق من الأمم الغابرة ، وهاته القصص جاءت لتثبّت فوائد سيدنا محمد ﷺ وتطمئنه وتؤانسه وكذلك إعجاز للكفار الذين يقدمون في نبوته عليه الصلاة والسلام وكما أن هذه القصص " آتيناك من لدنا " أي أتاه الله لنبيه مباشرة محفوظ النص وهذا إعجاز ثانٍ كون القصص تقص كما هي حادثه في الواقع وكأنّها ترى مرأى العين ، أمّا الإعجاز الثالث في كون هذا الذكر قرءانا عربياً أي أنزله الله بلغتهم كي يفهموا ما جاء فيه من الوعيد لعلّهم يتقون أو يتذكرّون و هذا أفق التضامن ، تضامن المرسل مع المرسل إليه كونه يقف معه ضد المشركين بإخباره أنباء السابقين ، وأنّه ذكر محفوظ ، ويخبره بالعقوبة المترتبة عن المعرضين لهذا الذكر ، وأعظم شيء أنّه جاء بلغته العربية فتعالى الله الملك الحق وبالتالي لا عجب بالقرآن ما قبل أن يغض إليك وحبه وقل ربي زدني علماً ، وهنا تضامن الله مع نبيّه بطمأنه قلبه وذلك

بتكفّله عزّ وجل بحفظ القرآن فالله حفظ في اللوح ، المحفوظ وحفظه في أمانه من نزل به ، وحفظه فيمن بلغه ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ (الأعلى ، 6) وعليه لا تكرر خِلف جبريل عليه السلام وإنما ركز فيها يقول وعلينا حفظ ، فهمنا طمأنينة في عدم النسيان وكما

حملت الألفاظ (نقص ، أتيناك من لدنا ، أنزلناه ، ولا تعمل) بُعْدًا تضامنيا كونه من عند الله مباشرة لنبيّه محفوظاً لفظاً ومعنا ، نجد لفظ (كذلك) لها أثرها التضامني فكلما وردت وجدنا الله عز وجل يخبر نبيه موضوعاً جديداً ، فكانت رابطة لها المواضع ربطا جميلا ، هاته المواضع التي تثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عله وسلم واعجاز الكفار والرد على شركهم .

– من بين الوصايا التي أوصى بها الله رسوله محمد ﷺ الصبر على أمتّه كما صبر أولو العزم والرسل من قبل ، كما أمره بالتسبيح أيضا في قوله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ("طه" ، 130)

حيث أدت الإشارات دورها ووظيفتها التضامنية من خلال وجود الضمير المتصل (الكاف) في هذه الآية عند لفظة (ربك) و(لعلك) فالضمير المتصل الكاف عمل نفس الوظيفة العائدة على الرسول ﷺ(المرسل إليه) الموضوعة من طرف الله عز وجل (المرسل) أثناء وصيته بالصبر والتسبيح بحمده فجعل ضمير الكاف في (ربك) عائدة على الرسول للتذكير بأنه رب لك ولكل شيء وأنه على كل شيء قدير .

فقد ساهمت هاته الأداة في التضامن والتقرّب منه ودعوته للعبادة والطاعة لله وحده لا شريك له ، كما وضح الله مواقيت العبادة والصلاة والقيام لبني آدم ، (لعلك ترضى) فوضح من خلال الضمير (الكاف) أنه تضامن المرسل (الله سبحانه) مع المرسل إليه (الرسول صلى الله عليه وسلم) في خطابه أي لعلك تعطي ما يرضى الله من عبادات وطاعات[1] . فالخطاب في

[1] – ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، تفسير القرآن الكريم ، ص 230 .

هاته الآية أنه لا يقتصر تسبيح الخلق للخالق من آناء الليل وأطراف النهار حتى ينال رضى الله سبحانه والفوز بالآخرة.

كما زرع هذا الضمير تضامنا في الآية الموالية (131) فكان موضوعا من طرف الخالق (المرسل) في لفظتي (عينيك) (ربك) ففي كل مرة يريد الله التضامن مع رسوله من أجل تذكيره بالدعوة وبأنه مبعوث ومكلّف لهداية الناس وتوجيههم فالله يوصيه بعدم النظر إلى ما متّع به أزواج الكفار وذكره بأنّه متاعهم وفتنتهم في الدنيا ولا نصيب لهم في الآخرة . وأنّ ربك هو الذي يرزق ما يشاء بغير حساب فهنا تضامن معه بأن خير الرزق الدائم من عند الله وحده يعطيه من يشاء هاته الأداة (الكاف) كان لها الدور الكبير والفعال في جعل التضامن بصورة واضحة وملموسة في جل هاته الآيات التي كانت خطاب متمثل في وصايا الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلك حيث نلمس من خطابه الضمني أنك يا محمد أول ما يقوم به الطائع لله هو صلاح النفس لأنّها الوحدة الأولية ، وتليها الأهل كما ذكر في قول ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ (سوره "طه" ، 132) ، فمن ألفاظ المعجم لفظ القرابة التي ذكرت في الآية كلمة "أهلك" "طه" 132. وذلك جاءت مصاحبة لخطاب الله لنبيه ﷺ من أجل تبليغ الدعوة فلفظة القرابة تضامن بها الله مع نبيّه في تكليفه بأمر أهله بالصلاة والاصطبار عليها.

ونلمس من الإشارة (نحن) في الآية نفسها العائدة على الله سبحانه القادر على كل شيء فكانت من أجل طمأنة نبيّه بأنّ الله هو الذي يرزقك من غير حول ولا قوة منك فهو المعطي الواهب المنعم ، والعاقبة للتقوى فالله المستجيب لأي من يسأله فلا يشغل على المنعم بالنعمة فمن خلال الضمير نحن أدّى إلى تحقيق سبيل تضامن الله مع نبيّه في استجابة الدعوة ومهمّة التكليف بالدعوة.

كما نلمس أيضا في قوله ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ ﴾ (سورة "طه" ، 134) بواسطة (النون والكاف) الذين يساهما في تحقيق التضامن وتوضيح ما يجزون فالكاف العائدة على الله عز وجل ، أمّا النون العائدة على القوم الكافرين النادمين على فعلتهم الكبرى وهي معصية الله وعدم التصديق والايمان بما أتى إليهم ، فمن خلال الادوات (الضمائر المتصلة) حققّت تضامن الله مع نبيّه ورحمته بعباده الصالحين .

وكذلك يلتمس في خطاب الله لنبيّه المكاشفة في الآية :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ ("طه" ، 8) ولا يكشف المرسل الى المتلقي شيء من مكوناته الا اذا بلغ قدر من العلوِ و المكانة و الرفعة ، و نجد الله عز وجل استعمل هذه الآلية لمكانة نبيّه العلية عنده لودّه له و تقربه منه ، كما نجد آلية الخطاب غير مباشرة بقص الله عز وجل قصة سيدنا موسى على نبيّه محمدا(ص) كانت تسلية من جهة و أخذ للعبرة و الغضة من جهة أخرى فكان الخطاب موجه لسيدنا موسى عليه السلام مباشرة و لسيدنا محمد عليه الصلاة و السلام غير مباشر . فجاءت آيات كثر تبين مدى الرعاية الرّبانية التي تَحُفُ سيدنا موسى عليه السلام من ولادته إلى بعثته و مَعِيَّة الله له بعد البعثة كلها إشارات الى سيدنا محمد (ص) بأن ذات الرعاية و نقص المَعِيَّة سَتُخِفْ هو أيضا من تبليغ رسالته و من بين هاته الآيات نذكر « قلنا لا تخافا اني معكما اسمع و ارى » « قلنا لا تخف انك أنت الأعلى » : « فاضرب لهم طريقا في البحر يبساً لا تخاف دركاً و لا تخشى » ، كلها إشارات تُطمئن سيدنا محمد (ص) خلال رحلته الدعوية .

– « يأخذه عدو لي و عدو له ، و ألقيتُ عليك محبة مني و لتصنع على عيني و اصْطَنَعْتُكَ لنفسي » هنا إشارة إلى سيدنا محمد (ص) بأنّ الله عزّ وجل يدبّر أمور الخلق كي لا يجهد عليه الصلاة ، و الكلام نفسه أكثر من طاقته لأنّ الله عالم و قادر على كل شيء

وكذلك في إجابة سيدنا موسى على سؤال فرعون" قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضلّ ربي و لا ينسى..." ("طه" ، 52–63) و هنا إشارة إلى سيدنا محمد بأن الإنسان يستطيع التدبر و اختيار قراراته كي لا يرهق نفسه في محاولة إقناع قومه بالإيمان بالله .

و كذلك في تحديد سيدنا موسى عليه السّلام يوم المواجهة ووقتها (الضحى) قال تعالى ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ ("طه" ،59) و حسب رسالة لسيدنا محمد (ص) بأن نبوته واضحة جليّة و الاختيار و الهداية أمر غير مكلف به بل عليه التبليغ فقط ، كما تحمل الآية ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ ("طه"، 98) رسالة للأمة محمد و البشرية عامة عن لسان سيدنا موسى عليه السّلام أن الله لا إله إلا هو ، المستحق العبادة لسعة علمه بكلّ شيء.

وقد كانت الآيات « من أعرض عنه ... أو يحدث لهم ذكرا » ("طه" ، 100–113) كشف الله عزّ وجل لنبيّه عن عاقبة المعرضين عن هذا الذكر كونهم يحملون أوزار ويخلدون في جهنم وحشر المجرمون زرقا " عميا ، عطاشا ، مشوهين ، خائبين شاخصة أبصارهم ، مزرفه جلودهم " والتخافت السرى بينهم ثم أخبره عن حال الجبال وما ستكون عليه وكشف له عن الشفاعة وعاقبة المجرم والمؤمن ، وأخبره أنه ضامن غرس القرآن في صدر نبيه وصونه

عن النسيان والسهو[1] . وقد حملت الآية ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ ("طه" ، 117) رسالة إلى سيدنا محمد ﷺ مفادها أن ابليس عدوّ لرسول عليه السلام ولأمته ، وهو أتم الاستعداد لأظلالهم وإخراجهم عن طريق السوى ، وسعيه الدائم لشقائهم ، ففي الآيات الثلاث الأخيرة قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (سورة "طه") .

نلمس وجود آلية المكاشفة ، أنّ الله عز وجل كاشف في هاته الآيات المذكورة سيدنا محمد ﷺ بما سيقوله المشركون الكفار ، وفي المقابل زود الله نبيه بالرد المعجز عليهم ومساندة نبيه بالتصدّ لهم وذلك بإرسال الكتب والانبياء من قبل لتقوم الحجة على الناس يوم الحساب ولكل جزاءه بما قدم في الدنيا من عباده وطاعه خالصه للخالق الواحد الرزاق الواهب للنعم ، أو للتصدي وعدم الايمان .

قد ساهم التنغيم في خاتمة السورة ببيان معنى التحذير الخالق لخلقه من يوم الحساب أنه لكل جزاءه فمن عمل صالحا فقد فاز فوزا عظيما ومن خفق في اصلاح نفسه فلا ينال إلا ما حصد ، لكن الله سبحانه برحمته حث في آيات آخري ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ

[1] – ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، تفسير القرآن الكريم ، ص 227 ، 228 .

وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ ("طه" ، 82) ، أنه غفور رحيم لمن استغفر وتاب توبة نصوحة .

من جهة أخرى ، وباعتبار التنغيم من الوسائل التي تحقق التضامن غِد التنغيم في هاته الآيات جاء بنغمة متساوية تتناسب والمقام ، فالله عز وجل في هذا الموقف الخطابي يؤانس نبيه ويلاطفه ويخفف عنه ، وبالتالي كانت النغمة هادئة ومن قرينة التنغيم الدالة على الانكار قوله تعالى ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ ("طه" ، 2) وهذه النغمة تدل على النفي ، ولكن في سياق الحدث وهو إنكار بأن إنزال القرآن فيه شفاء يتعلق بذلك الأنزل[1]

كما جاءت الفاصلة مواتية للمقام أيضاً ، هاته الفاصلة المتمثلة في الألف المقصورة نحوي من اللين واللطف ما تحمله لا تصافها بالزيادة والامتداد والطول الذي يعطيها جرساً له وقع على الآذان ، فالقارئ لا يمل تكرارها والسامع يأنس ويتحسن سماعها فيها متأملا متدبرا .

ب- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله مع سيدنا موسى عليه السلام :

1- لقائه مع ربّه :خطاب الله لسيدنا موسى عليه السلام خطاباً تضامنياً صِرفاً ، نجده في قصص متعددّة المواقف بدأ بموقف " لقائه مع ربه " والذى يتمثل مناط التكليف بالدعوة إلى تذكيره بمنن الله عليه من مولده إلى لقائه بربّه وهو موقف قبل البعثة ، وموقف بعد البعثة والمتمثل في معية الله لنبيّه في مراحل الدعوة كمقابلة لفرعون ومواجهة السحرة ثم ملاقاته مع بني اسرائيل نهاية بموقفه مع السامري ، وفيما يلي تبيّن الاستراتيجية التضامنية في هذا الخطاب بواسطة عدّة أدوات وآليات لغوية توضح مدى الرعاية الربّانية لنبيّه عليه السلام .

[1] – محمد الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 16 ، ص185 .

2- لقاء سيدنا موسى عليه السلام مع ربه: يتواصل الموقف الخطابي الذى بين الله عزّ وجل ونبيّه محمد عليه الصلاة والسّلام ، وهنا أراد الله عزّ وجل مؤانسة رسوله والترويح عنه بقص قصة نبيّه موسى عليه السّلام وقد بدأ بها بأداة الاستفهام (هل) " وهذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقى لعظيم فائدته ، وهل هنا بمعنى قد المفيدة للتحقيق " [1] وقد شملت هاته الآيات مدار خطاب بين الله وموسى بعدما استأذن سيدنا موسى صهرة في الخروج إلى أمه ، وخرج بأهله ، وأثناء سيره قدر الله للقائه بطور سينا وتكليف بالرسالة و بتأييده بمعجزات يواجه بها فرعون الذي أنقظه من قبضته يوم أوحى لأمه ما أوحى .

أمّا عناصر الخطاب فهما طرفا الخطاب وقد اختلفا حيث كان المرسل الله عزّ وجل والمرسل إليه سيدنا محمد (ص) ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾ ("طه" ، 9)

أمّا السّياق: فإنّنا نستشفه من الآية ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ ﴾ ("طه" ، 10) عدّة أمور منها : رؤيته عليه السّلام النّار وكذلك وجود أهله معه وأُنسه بالنّار ليأخذ منها قبس أو يجد هدى فالآية تخبرنا بظروف تلك الليلة حين كانت ليلة مثلجة مظلمة ، وقد ظلّ الطريق وتفرقّت ماشية ولا ماء عنده وقدح فصله زنده ، تلك هي حال موسى عليه السّلام ، إنسان تائه في الصحراء والليل مظلم والبرد الشّديد ، فهو و أهله في أشدّ الحاجة إلى معونة الله وهدايته " وهو كذلك إذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق فلما رآها ظنها نار وكان من نور الله "

[1] – أبي بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ، طبعة مزيدة ومنقعة ومصححة وجهامتها نهر الخير، مجلد الأول ، ط3 ، 1410هـ / 1990م ، ص

[1] (إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا) وهنا " نور الحق يسطع ويبدد الظلام ، فإن إظهار النار لموسى رمز رباني لطيف ، إذ جعل اجتلابه لتلقى الوحي باستدعاء بنور في ظلمة رمزاً على أنه سيلقى ما به إنارة ناس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد "[2]

ومن جهة أخرى نلمس من قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ ("طه" ، 11) أنّه لا توجد علاقة بين طرفي الخطاب ومناداة بالله موسى باسمه جاء لإنشاء علاقة تضامنيّة بينهما فالله عزّ وجل باعتباره أول لقاء بينه وبين نبيّه أسسّ هذه العلاقة وسيزيد من توطيدها بتكرار اسم نبيّه في كل موضع : مناداته ، تأييده بالمعجزات ، تلبية دعائه ، رعاية الله به في ماضيه أي قبل البعثة ، وبالرغم من أنّ أجد طرفي الخطاب هو الله عز وجل وهو أعلى سلطة بالطبع من نبيّه سيدنا موسى عليه السلام إلاّ أنّه ناداه باسمه وكرّر كثيراً اسمه دلالة على التقرّب منه وتقريبه في سياق تضامني.

الخطاب : المتمثل في الآيات من (9 – 36) وهي تحمل العديد من سمات الاستراتيجية الخطابية التضامنية التي تظهر من خلال عدة وسائل لغوية أولها الاسم " موسى " لمناداة الله لموسى باسمه والتكرار الذى نلمسه في هاته الآيات (6 مرات) يجمل من موسى يشعر بقدر من الاهتمام من قبل المرسل .

وفي قوله " وما تلك بيمينك يا موسى " نلمس تضامن المرسل مع المرسل إليه في لفظة (تلك) فالمرسل استعمل ما يشير إلى البعيد للإشارة به إلى القريب لعظمة المشير " فالله أشار إلى العصا ليبيّن موسى عليه السلام أنّه ممسك بعصاه حتى إذا انقلب حية لم يشك

[1] – ينظر : محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير ، ج2 ، ص 211 .

[2] – الطاهر عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 16 ، ص 195 .

في أنّ تلك الحيّة هي التي كانت عصاه " [1] .والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنّه في مقام الاصطفاء .

ألفاظ المعجم: لقد صاحب الله في خطابه لنبيّه عليه السلام في كل أوامره ونواهيه عبارات تعبر عن رعايته له مخفّفة من حزنه ، قوله تعالى ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ ("طه" ،13) هاته الألفاظ تهوّن من خوف موسى وتهدئته تمهيداً لتلفّظ الله بالتعريف بنفسه ثم البعثة لفرعون المؤيدة بالآيات ، وأيضا في قوله تعالى ﴿ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ ("طه" ، 21) فلفظ (لا تخف) احدى علامات الاستراتيجية التضامنية من الله لنبيّه موسى عليه السلام ليطمئنه ويبعد عند حزنه ، وهاته اللفظة تكررّت عدّة مرات سنقف في كل مرة تمر بنَا ، ويقول تعالى ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ ("طه" ، 22) في هاته الآية جاءت اللفظة (واضمم يدك إلى جناحك) وليس (في جيبك) مثلا لأن الضم والجناح يحملان رمز الحنان والرعاية وأيضا لفظ (من غير سوء) تابعة للفعل الكلامي الالزامي (تخرج بيضاء) ، فهو بمثابة العهد من الله قبل أن يدخل يده في جيبه ، فهو يطمئنه ويقول له ما سيحصل قبل حصوله كي لا بفزع ويحزن عند رؤيته لتغيرها .

وقال تعالى ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ ("طه" ، 35) ففي لفظ (قد أوتيت سؤلك) وجود تضامن ورعاية من المرسل إلى المرسل إليه خاصة عندما اجتمعت مع النداء باسم العلم (يا موسى)

[1] – المرجع السابق ، طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 16 ، ص205 .

وقد لا حظنا أن استعمال بعض الإشارات في هذا الخطاب تتعدى وظيفتها المرجعية للوظيفة التضامنية التي أنشأها للتخفيف من الحزن ، وثقل النبوة ، والمتمثّلة في الضمائر المنفصلة (أنا) والمتصلة (الياء ، النون ، الكاف) ، مثلا في قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ ("طه" ، 12) " فالإخبار عن ضمير المتكلّم بأنّه ربّ المخاطب لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه فإنّ شأن الربّ الرفق بالمربوب "[1] فحملت لفظة الرّب الرفق وإضافة الكاف لها تزيد من هذا الرفق أي أنّا ربّك أنت وحتى يهدئ من روعة أكثر أخبره بأنّه اختاره " أنا أخترتك " ثم أراد الله أن يعرفه باسمه " أنني أنا الله " طمأنه من الله لموسى حتى يعرف من يكلمه ، ، وفي ما يلي مواضع ظهور الضمير العائد على المرسل (الله) : أني أنا ربك ، أنا أخترتك ، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري أكاد أخفيها ، لنريك من آياتنا الكبرى ، كل ضمائر المتكلم العائدة على الله جاءت لتبين مدى تضامن الله عز وجل مع نبيه موسى عليه السلام ورعايته .

كما ظهر ضمير المخاطب العائد على موسى عليه السّلام بشكل بارز متكرر يبيّن مواساة المرسل للمرسل إليه ومؤانسته وقد ارتبط بعضها بتوجيهات مباشرة حقيقية على وجه الاستعلاء ، يقول تعالى ﴿ أنى أنا ربك ...قال قد أوتيت سألك يا موسى ﴾ ("طه" ، 11-35) ، وقد اجتمع ضمير المتكلم العائد على الله عز وجل مع ضمير المخاطب العائد على موسى عليه السلام في بعض الملفوظات وهذا يُعتبر علامة تلفظيّه دالة على مقصديه معيّنه إذ ظهرا متصلان بعدد من الألفاظ المعجمية الحاملة لمعاني الرعاية والتخفيف من الحزن

[1] – الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16 ، ص 190 .

يقول تعالى ﴿ وأنا أخترتك فاستمع ...فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ...لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ وكانت آلية المكاشفة جلية في معظم الآيات لأنّ المرسل مطّلع مستعد إلى اطلاع المرسل إليه على ما أخفاه على البقية وهذا دليل تضامن وتقرب من المرسل إليه ، وقد ساهمت هذه الآلية كذلك في إظهار كل ملابسات المقام وعناصر الخطاب يقول تعالى " إني أنا ربك ...اذهب إلى فرعون إنه طغى " ("طه" ، 11-23) حيث كشف الله عز وجل لموسى عليه السلام بأنّه ربه وهو أرفق الناس به وهو الذي اختاره وبعدها هو الذي كشف عن اسمه لأن هذا حال المتلاقين أن يعرفوا أسمائهم " فأشار الله إلى أنّه عالم باسم كليمه وعلّم كليمه اسمه ، هو الله ، وهذا الاسم هو علم الرّبّ في اللغة العربية "[1] ثم كشف له عن الساعة والآيات ثم التكليف بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى وهنا " مكاشفة بفساد حال " فرعون

وجاء التنغيم * في قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ ("طه" ، 17) وهو استفهام جاء بنغمة التنبيه ، وذلك لتنبيه موسى عليه السلام ، فقد ظهر التنغيم عند الاشارة ب (تلك) وهو استفهام أراد به التنبيه.

قال تعالى " رب اشرح لي صدري ... إنك كنت بنا بصيرا " ("طه" 24-31) نلمس بالدعاء نغمت تضرع وتوصل على الرغم من كون الافعال جاءت في صيغة الأمر إلاّ أنّ هذا الأمر غير حقيقي ويحمل دلالة الإلحاح في الطلب ، ودليل ذلك بداية موسى عليه السلام بلفظه (ربّ) بدلالة لفظه (الله) مثلاً ، والتي تحمل في طياتها كل معانى اللطف والرعاية ، ولهذا أراد أن يتقرّب منه بالدعاء إليه فعلى الرغم من أنّ الله أعلى منه سلطة إلى أّنه ألحّ عليه بالدعاء بألفاظ داله على تضامنه مع ربه .

* جاء التنغيم في قوله تعالى " وهل أتيك حديث موسى " (طه الآية 8) دل على الاخبار وهذا ما جاء من لتشويق الرسول ﷺ إلى الخبر حول قصة موسي عليه السلام .

– وفي هذا الخطاب نلحظ أن تعليم الأدب من قضايا الوحي الكبرى ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ ("طه" ، 12) ، قبل تكليف الله عزّ وجل تنبّه بالرسالة أراد تعليمه آداب منها: خلع النعل في المكان المقدس ، ومنه يعلمنا خلع النعل قبل دخولنا للمساجد

كما علمه أن أول منازل العلم: حسن الاستماع " فاستمع لما يوحى " وعليه من طلب العلم فعليه بحسن الاستماع ، فهذا يحقق لنا استراتيجية تضامنية عن طريق مبد التأدب .

3– منن الله على سيدنا موسى عليه السلام: يتواصل الخطاب الذي بين الله عزّ وجل و سيدنا موسى ، وفيه يعدّد الله عزّ وجل المنن التي مَنّهَا على سيدنا موسى عليه السّلام منذ ولادته إلى البعثة حيث أوحى إلى أمه بصناعة التابوت وإلقائه في اليم وإلقاء المحبة على موسى ورعايته وحفظه وتحريم المراضع عليه ونجاته من الغم وتوفيقه للهجرة إلى مدين ختاما بِمَنِّه على موسى اصطناعه على عينه ولنفسه ، أمره بالذهاب إلى فرعون هو وأخيه .

عناصر الخطاب: بما أنّ جل عناصر الخطاب مشتركة مع الجزء السابق كالمرسل الله عزّ وجل والمرسل إليه سيدنا موسى والسياق العام هو اللقاء مع الله والظروف المحيطة به ، سنتطرق إلى تبيين الوسائل اللغوية للاستراتيجية التضامنية في الخطاب ، الآيات(36– 41) وبدأ بالعلم المتمثل في الكنية (أمتك ، أختك ، أخوك) وهي ألفاظ دالة على القرابة والتي تساهم في طمأنة موسى عليه السلام وبتذكيره برعاية الله له عندما كان لا حول له ولا قوة ، إذ سخّر الله له أمه التي عملت بوحي الله لها لبقائه حيا بعدم قتله من طرف فرعون ، كما سخرّ له أقرب الناس (أخته) لإرجاعه إلى حضن أمه ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ ("طه" ، 38) ، ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ

إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ ، ("طه" ، 40) كما ارتبطت (أخوك) برعاية له بعد البعثة ، وتخفيف الحزن والخوف عنه يقول تعالى ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ﴾ ("طه" ، 42) .

ألفاظ المعجم: هناك ألفاظ دالة على تضامن الله لأخيه برعايته وحفظه والتخفيف من حزنه في قوله تعالى " إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ..." ("طه" 38 ، 39) وفي الملفوظ (عدّو لي وعدّو له) أنشأ الله عز وجل علاقة انتماء بينه وبين نبيه عليه السلام يجعل فرعون عدوّ لهما .

وأيضا في قوله تعالى ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ ("طه" ، 38 41) ، كلّها عبارات موجّهة توجيها مباشرا من الله عزّ وجل لموسى عليه السلام كي يطمئنه ، وهي عبارات مشحونة بأقوى معاني الرعاية ، والحب قبل البعثة .

الإشاريات : كما سبقنا القول آنفا أنّ للإشاريات وظيفة تتعدى المرجعية وهي التضامنية وهنا تبيّن مدى تضامن الله مع نبيّه ، ومؤانسته والتخفيف من حزنه وفيما يلي موضع الضمير العائد على (الله) : ولقد منّنا عليك مرة أخرى ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، ألقيت عليك محبته مني ولتصنع على عيني ، فرجعناك إلى أمك نجيناك من الغم ، فتونا ، اصطنعتك لنفسي ، اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى ، وجاءت هذه الضمائر لتبيّن رعاية الله عزّ وجل لنبيّه ، وأما ضمير المخاطب (أنت) فإنّه يدلّ على الاستراتيجية التضامنية عندما يكون المرسل أعلى درجة من المرسل له ، ممّا يجعل مردود التودّد إيجابي على سير العلاقة بينهما بالنتائج المترتبة على الخطاب ذاته .

كما ارتبط ظهور ضمير المخاطب العائد على موسى بمنن الله عزّ وجل ونعمته ورعايته له لتهيئته للنبوة (وألقيت عليك ... أختك ... فرجعناك إلى أمك ... فنجيناك ... فتناك ... اصطنعتك ... أخوك) ("طه" 39 – 41) كما نجد في الكلمات المذكورة آنفاً اجتماع ضمير المتكلم العائد على الله عزّ وجل مع الضمير العائد على موسى عليه السلام ..وهذا بدل على قربها .

كما ظهرت آلية المكاشفة عند سرد الله لأسباب الأحداث التي جرت لموسى عليه السّلام قبل بعثته في قوله تعالى ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ ("طه" ، 39) ، ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ ("طه" ، 41) حيث نعتبر كعلامات على محبة الله ورعايته له وتدبير أمور الخلق كي لا يجهد المرسل إليه نفسه أكثر من طاقته لأن الله عالم لكل شيء.

كما اشترك في هاته الاليات آليه ذكر خصائص المرسل اليه وجاءت هذه الآلية في هذا الموضع لتبيّن نعم الله ورعايته لنبيّه من صغره إلى البعثة لطمأنة نبيّه بأنه محاط برعايته حتى قبل البعثة يقول تعالى " ولقد مننا عليك مرة أخرى ... ثم جئت على قدر يا موسى " ("طه" ، 37 – 40)

أما التنغيم فنجده في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ ("طه" ، 40) وقد استعمل في قوله (هل / أدلكم) للعرض وأراد به (من يكفله) أمه وهذا ما دل عليه التنغيم .

3-مَعِيَّة الله لسيدنا موسى عليه السلام (بعد البعثة): لقد كان الله عزّ وجل في معيّة نبيّه موسى عليه السلام خلال دعوته لفرعون وقومه وتمثل هذه المعيّة تضامن الله مع نبيّه ، في هذه المرحلة يختلف طرف الخطاب ولكن يبقى خطاب الله في كل مرحلة هو بيت القصيد .

أ- خطاب الله لموسى عليه السّلام في مواجهته لفرعون: قال تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ ("طه" 46) تضمّنت هذه الآية النهي عن الخوف في (لا تخافا) وهذه المرة الثانية والغاية هنا طمأنة سيدنا موسى بالمراقبة والعناية الإلاهية في (أسمع وأرى) المؤكدة بأداة التوكيد المتصلة بالضمير العائد على ذاته (إنني) وكذا المعية في لفظ (معكما) أما قوله تعالى "فقولا له قولا ليّنا....والسّلام على من اتبع الهدى" ("طه" 45-46)

وهنا نلْحظ استعمال ألفاظ ليّنة دالة على تبسيط الله وتهوينه لأمر الدعوة لهما ، وتهوين موقف المواجهة ، ذلك أن الموضع أظهرهما خائفين خوفا شديدا من فرعون لمعرفتهما لجبروته وظلمه.

ب- خطاب الله لموسى عليه السلام في مواجهة السحرة: لقد ظهر في الآية ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ حمل هذا الخطاب بُعْداً تضامنياً من خلال النهي عن الخوف (لا تخف) مع الالتزام بوعده (إنك أنت الأعلى) حيث تضمنت العبارة تقرير بعلوه في المستقبل كوعد من الله وكذلك وعده بأنّ عصاه تتلقف سحر السحرة فيطمئن.

ج- خطاب الله لموسى عليه السلام مع قومه (بني إسرائيل): قال تعالى﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ ("طه" ، 77) إنّ لفظة لا تخاف تطل علينا للمرة الرابعة بعد حادثة العصا ومواجهة فرعون والسحرة ،

فجاءت مطمأنة له (عليه السلام) ، حيث تضمنت الآية تقرير الله لما سيقع في المستقبل وهو نجاته وقومه من فرعون الطاغية ، وهو وعد إلاهي كي يذهب عنه الخوف والحزن ممّا سيأتي من أحداث وعليه فهذه عبارات مهدّئه ومساندة ومشجّعة لموسى عليه السلام لأداء مهمته المتمثلة في الخروج ببني إسرائيل وغرق فرعون وآله .

وقد لاحظنا استعمال بعض الإشاريات في خطاب الله لسيدنا موسى عليه السلام الدالة على التضامن والتخفيف من الحزن وتقل النبوة في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾

كما ارتبط ضمير المخاطب العائد على موسى عليه السلام برعاية الله له ولأخيه هارون عند النبوة وأثناء البعثة إلى نهاية قصته مع فرعون يقول تعالى " قال لا تخافا إني أسمع وأرى ... على من كذب وتولى " ("طه" 46 – 48)

من جانب آخر نجد المكاشفة في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ ("طه" ، 46) فالكشف عن سماعه عز وجل ، ورؤيته لمجريات القصة الموجهة بخطاب مؤكّد لموسى وهارون عليهما السلام رغم يقينهما من ذلك ، تطمئنهما أثناء تبليغ فرعون ما أمر به.

وكذلك نجد المكاشفة في الآية (80)﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ ("طه" ، 82) حيث كشف الله عز وجل عن صفة من صفاته وهي المغفرة والمبالغة "غفار لمن عمل صالحا وتاب ولا يطغى" وكشف الله عزّ وجل لموسى عليه السلام عمّا حدث بعده وهو فتنة قومه قال تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ ("طه" ، 85)وفي هاته المكاشفة "ضرب من الملام على التعجل بأنه تسبب عليه حدوث فتنه في قومه ليعلمه أن لا يتجاوز ما وقت له لو كان لرغبة في ازدياد من الخبر"[1]

آلية ذكر خصائص المرسل إليه : قال تعالى " قلنا لا تخف ...حيث آتى " ("طه" 68 ،69) حيث ذكر الله عز وجل خصائص سيدنا موسى عليه السلام قبل وقوع ما سيقوم به مع السحرة لطمأنته وتثبيته .

[1] طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16، ص278.

في قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ ("طه" ، 83) أراد الله أن يعلم موسى عليه السلام درسا "آداب السحر" وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطا بطائفته ونافذ فيهم ومهيمنا عليهم ، وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم ، وهذا الدرس علمه لنبيه لوط في قوله ﴿ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ (الحجر ، 65)

وكذلك العجلة مذمومة في مجملها وقد جاء في الحديث "التأني من الله والعجلة من الشيطان"[1] وعلى الإنسان ترويض نفسه على التأني بالرغم من هذا فهي محمودة إذا كانت في طلب رضا الله تعالى.

وقد جاء التنغيم في الآية ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ ("طه" ، 83) بنغمة صاعدة لاحتوائها الاستفهام المستعمل في اللوم "فلامه الله على أن غفل من مراعاة ما بحق بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكر"[2] ، وقد وضح التنغيم كذلك لوم موسى لقومه وهو يمكر عليهم كفرهم وإخلافهم الوعد وعبادتهم العجل في قوله﴿ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا ﴾ ("طه"، 89)

ت- الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لسيدنا آدم عليه السلام: ذكرت قصة آدم في مواضع مختلفة من القرآن الكريم (البقرة ، آل عمران ، "طه" ...) فالحكمة من ذلك أنه في كل موضع يوجد ما لا يوجد في الموضع الأخر فإذا جمعت القصة اتضحت بالكامل ،

[1] أخرجه البيهقي ، شعب الإيمان وحسنه الألباني ، السلسلة الصحيحة برقم (1795) وفي صحيح الجامع برقم (3011)

[2] طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج16،ص 277.

يجدر بنا أن نقتصر في قصة سيدنا آدم على ما ذكر في سورة "طه" فالآيات التي توضح قصة سيدنا آدم من الآية (115 إلى 127).

- **عناصر الخطاب** : وفي هذا الموقف الخطابي عناصر متعددة أولها **المرسل** هو الله عز وجل ، وردت أول آية ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ ﴾ (سورة "طه" الآية 115) . أي وصيناه أن يأكلا من الشجرة من القديم ، فنسي ولم نجد له حزماً وصبرا عما نهيناه عنه [1]

وثاني عناصر الخطاب **المتلقي** هو آدم عليه السلام .

وثالث عناصر الخطاب **السياق** ، والتفاصيل الجزئية لهذا السياق ، يمكن أن نستشف من خلال الموقف الخطابي الذي ذكرنا ملامحه سابقا ، وهي التفاصيل المتعلّقة بسيدنا آدم وما عاهده الله عليه والمكانة التي جعله الله إياه من اصطفاء وأمر الملائكة وإبليس بالسجود له وبعد استكبار إبليس وعدم سجوده ،أخبره الله بأنه عدو لك ولزوجك الحذر من أن يخرجنكما من الجنة فتشقى ،لأن الشقاء يكون خارج الجنة وذلك لتأمين متطلبات العيش السعي في جلب الرزق ،ففي الجنة يحيا فيها ويأخذ مما يشتهيه ،اضافة إلى تأمين العيش له من الله تعالى ، فقوله ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ﴾ فهنا ارتكب آدم المعصية، كما ذكر في بعض التفاسير قال له إبليس اللعين : هل أدلك يا آدم على شجرة من أكل منها خلد ولم

[1] – المرجع السابق ، صفوة التفاسير ، ص 228.

يمت أصلا ونال الملك الدائم[1] وسماها هنا " شجرة الخلد " بالإجمال للتشوق إلى تعيينها حتى يقبل عليها، وقد أفصح هذا عن استقرار محبة الحياة في جِبِلَة البشر [2]

عصا آدم عليه السلام وزوجه فأكلا من الشجرة الممنوعة ، ثم تاباَ فقبل الله توبتهما لأخذ العبرة من الدرس البليغ ، وقضى الله بأن يخرج الي الدنيا ، فقامت الحرب بين العدو (إبليس) وآدم وذرّيته إلي أنْ نلمس من هذه الآيات أنّ الله جعل هذا ووسوسة الشيطان وسقوط آدم وعصيانه كلها اختبار وابتلاء ، فكل هذا من القدير سبحانه وتعالى جعلها عبرة لبنى آدم للسعي الي جوهر الحياة وهو العبادة وطاعة الله ، وهنا يبيّن الله أنّ الإنسان مخيراً وليس مجبراً وهو الذي يختار الطريق الذي يسلكه ، فمن يطع الله فله الفوز العظيم في الأخرة ومن يعصى فإن عذاب الأخرة شديد ودائم ، أمّا رابع هذه العناصر فهو الخطاب المتعلق في الآيات (115 إلى 127) وهي تحمل العديد من السمات الاستراتيجية الخطابية التضامنية في الموقف الخطابي يظهر لنا استخدام التضامن في الخطاب من خلال عدّة وسائل لغوية أولها الاسم (آدم) فناداه الله باسمه والتكرار الذي نلمسه في هاته الآيات (5 مرات) يجعل آدم يشعر بأنّ الخطاب موجه إليه من قبل المرسل ، وأنه معه و مجتبيه إليه كما نجد أسماء مذكورة في هاته الآيات ،وكذا بعض الألفاظ كزوجك فهي تعد من ألفاظ القرابة.

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ ﴾ نلمس وجود تضامن المرسل مع المرسل إليه في لفظ عهدنا فالمرسل استعمل العهد بمعني التوصية فهنا وجود تضامن بوجود وصية من قبل[3] ،وعليه فإن هذا جعل المرسل إليه في مقام الاصطفاء للمحافظة عليه.

[1] –المرجع نفسه ،ص229.

[2] – المرجع السابق ، تفسير التحرير والتنوير ،ص126

[3] – ينظر : المرجع السابق ، محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 228 .

ألفاظ المعجم: لقد صاحب الله في خطابه لنبيه عليه السلام ،فمالك أوامره ونواهيه عبارات تعبر عن رعايته ،يقول تعالى﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ سورة "طه" 122 هاته الألفاظ تعبر عن رحمة الله بنبيّه رغم ارتكاب المعصية (الخطأ) فعند توبة آدم تاب الله عليه وقربه منه فهاته الألفاظ هي عبرة لبني آدم إنّ الإنسان غير معصوم من الخطأ وإنّما يدرك خطأه فيستغفر لربه ويتوب توبة نصوحة ذلك سبل النجاة وكذلك قوله ﴿ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ فالله حذّر نبيّه من إبليس لأنه سيؤدى به للشقاء وتعددت لفظة الشقاء عندما أمرهم الله بأن يهبطا على وجه الأرض في قوله ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ فالناس صنفين إما إتباع أو اعتراض، نلمس من خلال هذه الآية وجود تضامن بين المرسل والمرسل إليه من اتبعني ورجع إلى الهدى فلا يضل ولا يشقى فالله يرعى نبيه بحفظه من الضلال والشقاء ، وأيضا عندما اجتمع النداء مع الاسم العلم (يا آدم) .

وقد لاحظنا أنّ استعمال بعض الإشارات في هذا الخطاب تتعدّى من وظيفتها المرجعية للوظيفة التضامنية التي تمثلت في الضمائر المتصلة (النون ،اللام ،الكاف) مثل في قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ فهنا استعمل الضمير المتصل لتضامن المرسل مع المرسل إليه وتذكيره بالعهد المسبق وفي قوله ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ سورة "طه" الآية 116 أيضا هنا الضمير المتصل أدى إلى تحقيق تضامن وذلك بطاعة المرسل والسجود إلاّ من استكبر، وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ سورة "طه" الآية 118 نلمس أن المرسل جعل من خلال الضمير أن يكون أداة في تحقيق

سبيل التضامن في الخطاب المباشر مع المرسل إليه جل الضمائر المتصلة العائدة على المرسل إليه (آدم عليه السلام) كانت تؤدي وظيفة التضامن التي استعملت من طرف المرسل (الله عزّ وجل) في بعض الملفوظات على ما تلفظه دالة على مقصد معين إذ أظهرا اتصالهما بعدد من ألفاظ المعجم الحاملة لمعاني الرعاية والقرب والتحقيق من التحسّر، والذنب الذي اقترفه بأنّه غفر له ذنبه وهداه واجتباه إليه .

كما كان للتنغيم الدور الفعّال في تحقيق التضامن (الخطاب المباشر) في الآية المذكورة ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ (سورة "طه" الآية 117) فأداة النداء الموجودة في الآية وإنما وضحها التنغيم ، فمن خلاله تم التضامن مع آدم عليه السلام ،وبيان تحقير إبليس وكشفه عن حقيقة ما سيقوم بفعله ، إنّ الله وسع كل شيء علما ،بفضل هاته الوسيلة " التنغيم " أدى إلى تحقيق تضامن وكان ذلك بأداة النداء التي وضعها المرسل (الله) لتضامن مع المرسل إليه (آدم) وتوصيته والتحذير من الشقاء الذي يلحقه ،فكل هذا كان سبيل التضامن محقق من طرف التنغيم ، فالنعمة في أداة النداء حددت لنا معنى التضامن في الآية .

6- خطاب نبي الله موسى عليه السلام لقومه :

أ - خطاب موسى عليه السلام لفرعون:

نلمس في خطاب سيدنا موسى عليه السلام لفرعون تظافر الاستراتيجية التضامنية مع غيرها من الاستراتيجيات كالتوجيهية مثلاً التي ترتكز على تباين أطراف الخطاب سلطوياً ونجدها متمثلة في الاستفهام الحقيقي والنداء الذي قدمه فرعون لموسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾ (سورة "طه" ، الآية 49) ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ ("طه"، 51) واستعمل موسى عليه السلام الاستراتيجية الاقناعيه في

جوابه ، نجد الاستراتيجية التوجيهية والتلميحية في قوله ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ ("طه" 57-58)، جاءت التوجيهية في لفظتي (أجئتنا) والنداء (يا موسى) لغرض إنكار نبوة موسى وتقديم التعليل للحاضرين من أجل تضليلهم خوفا من أن يقنعهم موسى عليه السلام بحجة القولية ، أي أن الاستفهام أتي مقدما حججا معه ، كما تضمّن هذا الخطاب الموجه لموسى عليه السلام وعبد وأمره ووعد من أجل الحصول على المواجهة ، وقد جاء خطاب سيدنا موسى باستراتيجية توضيحية تلميحيه يوضح من خلالها وقت إجراء المواجهة وهو يوم يجتمع فيه كل الناس ، وحدد وقت الضحى الذي تكون فيه الأشياء واضحة قال تعالى ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾(سورة "طه" 59) ذكر اسم موسى أكثر من مره من طرف فرعون في هذا الموضع ليس من باب التضامن لاعتبارين أولهما السلطة : حيث يرى فرعون أنه الربّ والإله المستحق الطاعة وما موسى إلاّ فرد من بنى اسرائيل عليه طاعته وثانيها أنّ موسى تربى في قصرة واعتاد مناداته باسمه قال تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الشعراء -18) ، أما الاستراتيجية التضامنية تتمثل في خطاب سيدنا موسى عليه السلام لفرعون امتثال لقوله ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ ("طه" -44) والقول الليّن هو الكلام الذي من شأنه أن يرفق القلوب ويقضي على شقة الخلاف لا ذلك الذي يحبه المخاطب ويثير في نفسه شعور التحدي والعصيان ويدفعه إلى العناية ويدخل في ذلك الألفاظ نفسه والأسلوب الذي تقال به ، وقد يكون من

ذلك التكنية ومن اللين في دعوة موسى لفرعون قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ ("طه" ، 47) إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء ... وقال تعالى ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ ("طه" ، 48) تعريض لانذاره على التكذيب قبل حصوله منه ... وهذا أسلوب القول اللين الذي أمرهما الله به [1] .

كما نجد من الإشاريات الضمير المتصل المتمثل في الكاف في (ربك، جئناك) ، فاستخدام الكاف في هذا الخطاب له بُعد تضامني يتمثل في شد انتباه فرعون للخطاب ، لأنه المعنى الوحيد لهذا الضمير الذي به يوجّه الخطاب إليه كما يجعله يشعر باهتمام المرسل ، ولما سيعرض عليه من طلب الخضوع لله ربّ العالمين وإرسال معه بني إسرائيل

أما الآليات فتلتمس آلية الخطاب غير المباشر في قوله تعالى ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة "طه" ، الآية 48) فيه تلميح بالعذاب على فرعون دون تصريح مباشر وهذا التلطف واللين ، ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة "طه" الآية ، 56) وقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ ،﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ كلها آيات موجهة لفرعون وتقصده بخطابه غير مباشر من باب التلطف .

وقد كان سيدنا موسى حسن المجادلة مع فرعون حيث كان يجيب على قدر سؤال فرعون حين قال ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ

[1] – طاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 16 ، ص 230 .

هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة "طه" ، 49-50) قال الزمخشري " والله درّ هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقي الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا الحق " [1] ويتجنب الاجابة حينا آخر ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ لقول الطاهر عاشور " يكون موسى قد عدل عن ذكر حالهم خيبة لمراد فرعون وعدولا عن الأشغال بغير الغرض الذي جاء لأجله "[2] . مع تقديم الحجج البالغة الدامغة التي تسمعها أذن واعية وعقول راشدة دون تسفيه الرأي فرعون أو تجهيله وهو عين اللين في القولة وأقصى درجات التأدب وفي هذا الخطاب تحقق لمبدأ التصديق لـ طه عبد الرحمان بقواعد الثلاثة وهو من التضامن .

وعليه فقد التمسنا في هذا الخطاب أدوات وآليات الاستراتيجية التضامنية وتحقيق أهم مبادئها (مبدأ التصديق) . فبالرغم من طغيان فرعون إلاّ أنّ سيدنا موسى بحكمته أراد التضامن معه علّه يتذكر أو يخشي وتطبيقاً لأمر ربّه ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ وتطبيق القاعدة الدعوية الأساسية ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل ، الآية 125) .

وكذلك نجد معالم الاستراتيجية التضامنية لكن ليس من فرعون لسيدنا موسى بل من فرعون لقومه قصد تضليلهم ، حيث أراد أن يستعدي الناس الذين استعبدهم ونصّب نفسه إلهاً عليهم على موسى وهارون في قوله (أجئتنا) ولم يقل (أجئتني) والضمير(نحن) في

[1] – المرجع نفسه، ج 16 ، ص 230.

[2] – الطاهر عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 16 ص 231 .

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ " ويجوز أن يكون ضمير المتكلم المشارك مستعملا في الجماعة تغلباً ، ونزّل فرعون نفسه واحدا منها ، وأراد بالجماعة عن بني اسرائيل "[1] ونحن نمثل فرعون وبنى اسرائيل وهنا تضامن فرعون معهم لكسب ولاتهم ضد سيدنا موسى عليه السلام ، وصاحب السلطة لا ينزل لرعية إلا لغاية قصوى وقد ساهم التنغيم في توضيح مدي غضب فرعون من سيدنا موسي وتضامنه مع بنى اسرائيل لكسبهم ضد موسى عليه السلام وقد تجسّد في لفظ (أجئتنا) وكذلك لفظ (فلنأتينك)

ب- خطاب سيدنا موسى عليه السلام للسحرة: جاء هذا الخطاب يوم الزينة وهو يوم احتفال عظيم يخرج فيه الناس جميعاً في أجمل حللهم وزينتهم ، وما جرى بين سيدنا موسى عليه السلام والسحرة من نقاش كلامي وتطبيق فعلي المتمثل في الإلقاء مناوية بين السحرة وسيدنا موسى عليه السلام كان على إثرها إيمان السحرة الذين تلقوا تهديداً شديد اللهجة من فرعون ، وذلك أنّهم آمنوا قبل إذنه ، ومعاقبتهم بتقطيع أطرافهم وتصليبهم على جذوع النخل على الرغم من هذا صمدوا السحرة على دينهم رادين عليه " أقض ما أنت قاضٍ " فنحن ثابتون مؤمنون بربنا ، وبالتالي يكون لهم الدرجات العلى على عكس فرعون الذي جهنم لا يموت فيها ولا يحيي وهنا – تتعد أطراف الخطاب من البداية حيث كان موسى عليه السلام مرسل والسحرة متلقي ثم تدخل فرعون كمرسل ولكن ما يهمنا الخطاب موسى عليه السلام مع السحرة ومدى تضامنه معهم ، ربّما لا تبدوا معالم الاستراتيجية التضامنية واضحة ، فعلية غياب تضامن سيدنا موسى مع السحرة لكونهم أنصار فرعون الطاغية ولكن يتجسّد تضامن سيدنا موسى عليه السلام للسحرة نلمسه في وعضه ودعوته لهم لاجتنابهم الكذب لما

[1] – المرجع السابق، ج 16 ، ص 244.

له من عاقبة وخيمية ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ ، " قال موسى عليه السلام للسحرة : لاحظوا أن لكم رباً وإن قلتم أي شيء مخالف لنهجه فيا ويلكم من عذابه ، فهو يحذرهم من عاقبة فعلهم ومحاولتهم نصرة فرعون فيسحتكم أي يستأصلكم بعذاب الدنيا ، علاوة على عذاب الآخرة " [1] وقد أنتج هذا التضامن ردة فعل كانت لصالح سيدنا موسى عليه السلام " حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ، فإذا بهم يلقون بأنفسهم للشكر والسجود . وهم قد دخلوا هذه المعركة وهم كفره جاحدون وخرجوا منها وهم مؤمنون موحدون " [2] ، صادقون في ايمانهم ثابتون عليه ، فقد آثروا ايمانهم بالله على العقاب في قلوبهم ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ ("طه" ، 72) من تقطيع الأبدي والأرجل وتصليب في جذوع النخل ، أي افعل ما بدى لك لأنه قضائك لا يتعدى الحياة الدنيا أما الله فهو خير من كل شيء » [3] فتضامن سيدنا موسى عليه السلام بالوعظ والارشاد بداية ثم رؤيتهم لمعجزه العصا ، ثانياً أيقظ فطرتهم التي كانت مكرهة على السحره إرضاء لفرعون ، وعليه كانت توبتهم نصوحة ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة "طه" ، الآية 73)

ت- خطاب موسى عليه السلام لبني إسرائيل: بعدما أنجى الله عز وجل بني إسرائيل من كيد فرعون وجنوده إغراق هؤلاء في اليم ، ومواعدتهم جانب الطور الأيمن ونزّل عليهم المنّ والسلوى ، وأنّه غفار لمن آمن منهم وعمل صالحاً ، سرعان ما نسوا تلك الألطاف وتجاهلوا هذا التحذير فما أن ذهب نبيّهم عليه السلام لميقات ربه حتى عبدوا العجل الذي صنعه لهم

[1] – محمد متولى الشعراوي ، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول ص ، دار القدس ، ط 1 ، 1423 / 2006 ص 307.

[2] – نفسه ، ص 300.

[3] – المرجع نفسه ، ص 304 .

السامري من الحلى التي أخذوها من المصريين ، وقد كانت إجابتهم عن سؤال نبيهم إجابة المتنصل من المسؤولية ويتعذرون بأنهم كانوا فاقدين الارادة أمام ما حدث ، وأنهم انساقوا إلي عبادة العجل انسياقا فهل يصدق هذا المنطق الوقح الأعوج من عنده مسكة من العقل وبخاصة أنهم كادوا يقتلون هارون عليه السلام ، الذي حاول أن يردهم إلى جادة الطريق ، وعليه قد كان خطاب سيدنا موسي عليه السلام حازم قويا على قدر غضبه من قومه ، وبالرغم من ذلك لا يخلوا من التضامن فسيدنا موسي عليه السلام نداهم يا قوم ولم ينادهم مثلا بـ: يا عصاة ، طغاة ، خونه تضامنا معهم وسؤاله لهم كذلك نوع من التضامن حيث اعطى لهم فرصه الاجابة والشرح كما تضمّن هذا السؤال على معنى اللوم على قومه (فأخلفتم موعدي) فلام على قومه بأنّهم المسؤولون عن هذه المتابعة الباطلة رغم أنّ صاحب الفتنه هو السامري إلاّ أنّهم لم يجبرهم على متابعته ولم يضرب على عقولهم ، إنّما أغواهم فغووا ولا يكون اللوم على أحد إلى إذا كان عنده قدر ومكان في قلب اللائم .

غضب سيدنا موسى عليه السلام على قومه ليعلمنا أن اللين ليس هو الحل الأمثل حين يتعلق الأمر بانتهاك حرمات الله .

ث- خطاب سيدنا موسى لأخيه هارون عليهما السلام: بعد توجيه سيدنا موسى خطابه لقومه ، وجّه خطابه لمن خلفه وهو سيدنا هارون عليه السلام ، وقد كان خطاب الرئيس لمرؤوسه الذي كلّفه بمهام وقصّر في آدائها – ومن وجهة نظر سيدنا موسى قبل سماع عذر أخيه هارون عليهما السلام- فاشتدّ لقومه ، قال تعالى ﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ("طه" ، 92-93) ولكن سيدنا هارون عليه السلام بحلمه عالج الموقف بتضامن عالٍ ، قال تعالى ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى

وَلَا بِرَأۡسِيۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ ("طه" ، 92) وقد استعمل سيدنا هارون لفظة (يبنؤم) ادعى إلى العطف والرقة وهو " نداء لقصد الترقيق والاستشفاع" وقال (يبنؤم) ولم يقل (يا أخي) لأن ذكر الأم تذكير بأقوى أواصر الأخوة ، وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاع من لبان واحد" [1] . فهي الوطن الأول لهما .

وبهذا امتص سيدنا هارون غضب سيدنا موسى عليه السلام بهذا الخطاب التضامني باستعمال ألفاظ تدل على الحميمية وتذكره بأقوى رابط بينهما وهو الأم وقد كان نتيجة هذا الخطاب أن دعا سيدنا موسى عليه السلام لنفسه ولأخيه قائلاً ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأعراف ، الآية 151)

لقد علمنا غضب سيدنا موسى عليه السلام على أخيه هارون عليه السلام أنه لا محاباة مع أحد ولو كان أخاً إذا تعتدى على حدود الله وانتهكت حرمانه .تغير المنكر باليد ، ولا يكتفي باللسان والقلب وهي أعلى مراتب التغيير كما علمنا سيدنا هارون عليه السلام أن الشدة لا تقابل بشدة التضامن حينها هو الحل الأجدى ، مع تقديم أدلة يدافع الشخص بها عن نفسه .

ج- خطاب موسى عليه السلام مع السامري: التفت سيدنا موسى عليه السلام بتوجيه الخطاب إلى السامري الذي كان سببا في إضلال القوم لقوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ ("طه" – الآية 95-96) ولم يغلظ سيدنا موسى

[1] الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ج16، ص 292.

له القول كما أغلظ لأخيه هارون عليهما السلام لأن السامري "كان جاهلا بالدين فلم يكن في ضلال عجب" ولكن في المقابل وعيه عليه ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ ﴾ كما بعده الحق في الآخرة بالعفوية ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ ﴾ كما قضى على الفتنة التي فتنها في قومه ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ وفي هذا الموقف لا نلمس تضامنا ، لأنه لا تضامن مع انتهاك حرمات الله ، وإنّما نلمس التضامن هاهنا في استجابة الله عزّ وجل دعاء موسى عليه السّلام على السامريّ كما نلمس تضامنا في الآية ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ ("طه" ، 98) فقد جاءت في موقع تذييل لوعظ السامري وأمّة بني إسرائيل عامة "وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمّة لإعراضه عن خطابه تحقيرا له ، قصدا لتنبيههم على خطئهم ، وتعليمهم صفات الإله الحق واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم". وقد اشترك في هذه الآية أمران : الوعظ بعد العقوبة والمكاشفة في أنّ الله لا إله إلا هو وسع كل شيء علما وهنا تضامن موسى مع السامري وقومه.

الخـاتمــة

توصلنا في ختام هذه الدراسة "الاستراتيجية التضامنية في سورة طه" ، والتي حاولنا أن تكون مستوفية لكل جوانب الموضوع ، إلى مجموعة من النتائج ذات الأبعاد التطبيقية .

لكل استراتيجية خطابية دواع ومبررات وعوامل تتحكم فيها ، منها ما يتعلق بالمرسل ومنها ما يتعلق بالمتلقي ومنها ما له أبعاد سلطوية تحكم طبيعة العلاقة بين المتواصلين ، وكذلك لها أدوات وآليات لغوية تبينها وسياق خطابي يحددها.

1- يستعمل المرسل الاستراتيجية التضامنية بكثرة في مواضع كالترغيب والدعوة إلى الله.

2- سورة "طه" سورة عظيمة كباقي سور القرآن وأنّ اسمها عبارة عن حروف مقطعة وليست اسما من أسماء الرسول (ص) ، وقد صحّ أنّها بمعنى يا رجل في بعض اللغات فتكون نداء للنبي...، والذي زادها عظما كونها تتحدث عن منهج الله لخلقه أولا وهو «القرآن هو منهج السعادة» فالسعادة مع التمسك بهذا المنهج والشقاء في تركه ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا یَضِلُّ وَلَا یَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه 123).

3- لقد كانت الاستراتيجية التضامنية جليّة في خطاب الله لأنبيائه وهذا دليل على رعايته ومؤانسته وحفظه ومعيته لهم ليتمكنوا من تبليغ ما كلفوا به بأيسر الأحوال ، كما التمسناها كذلك في خطاب موسى لقومه وتمثلت في التلطف معهم أثناء الدعوة.

4 – لقد كان تضامن الله مع أنبيائه متفاوت مع آدم يمتزج بشيء من اللوم عند النسيان للعهد وعلى الرغم من ذلك حذره من إبليس ، وأخبرهُ بأنه عدوٌ له ، أما مع سيدنا موسى فنلتمس التضامن في كل مرحلة من مراحل حياته من ولادته إلى ما بعد البعث ، أما مع سيدنا محمد فتمثل تضامنه في مؤانسة وملاطفة وتثبته بقص عليه قصص إخوته الأنبياء وتوصية تثبته في الدنيا وتنجيه في الآخرة .

5 – كان خطاب الله لسيدنا محمد (ص) خطابا تضامنيا خالصا لما حواه من أدوات وآليات جسدت الاستراتيجية " التضامنية " كورود طه واستعمال بعض الإشاريات والألفاظ الدالة

على التضامن ك ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي ، واصبر ، اصطبر ، كما تنوعت الآليات من المكاشفة والخطاب غير المباشر وتمثل في قصة موسى عليه السلام ، حتى يأخذ منها العبرة والعضات وتصبره وتروح عنه .

6 – كما تنوعت الأدوات والآليات في خطاب الله لسيدنا موسى فنجد اسم سيدنا موسى حاضرا في كل محطة من محطات الخطاب ، وكذا ألفاظ دالة على التضامن أهمها إلا تخف ، حيث يصل التضامن من ذروته عندما يتضمن المرسل للمخاطب الأمن برفع الخوف عنه ، وهذا ما ضمنه الله لسيدنا موسى عليه السلام في كل مرحلة بداية يرفع الخوف عند تحول العصا ثم من فرعون ومن السحرة ، ومع بنى إسرائيل (معجزة اليم) ولفظة (لا تخف) عن الاستراتيجية التضامنية لما تمثله من عبارات الرعاية والحماية والمعيّة في كل حين ، فالله عز وجل ساند نبيّه وحرسه قبل وبعد البعثة (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني واصطنعتك لنفسي ...) بأن يربي عند فرعون ولكن برعاية ربانية بدفع ما يؤديه (حماه عندما لعب بلحية فرعون) وكذلك اجتباه واختاره لتبليغ الرسالة ، وتمثل آلية المكاشفة قمة التضامن من الله لنبيّه وكذا آلية ذكر خصائص المرسل إليه وبشكل عام فقد تجسّدت الاستراتيجية التضامنية أيّما تجسيد .

7 – أمّا خطاب الله لسيدنا آدم عليه السلام فتجسّدت الاستراتيجية التضامنية بأدوات كالإشارات وألفاظ " كاجتباه " و " تاب عليه " فعبرت عن رحمة الله لنبيّه رغم ارتكابه للمعصية .

8 – كانت الاستراتيجية التضامنية حاضره في خطاب موسى عليه السلام لقومه حيث تمثلت في القول اللين لفرعون عليه لعنة الله ، ثم الوعظ للسحرة وبني إسرائيل والسامري .

9 – وعليه فقد بينت لنا سورة طه لما احتوته من خطابات جاءت باستراتيجية تضامنية استعملها الله ، ثم الرسل في خطاباتهم لأقوامهم لأجل تقريبهم و التقرب منهم ، وليتبن منهج

الله ، والابلاغ على أنه يوجد طرقين والانسان هو الذي يختار الطريق الذى يسلكه أما طريق الهداية ، وإما طريق الشقاء ، وهنا نقول أن مهمة الرسل تمثلت في التبليغ لا الهداية .

10 – علّمنا الله عزّ وجل بواسطة سورة طه كيفية التواصل مع الغير سواء كان أعلى أو أدنى أو متساوي الدرجة في المقام ، وكيف أن للاستراتيجية التضامنية جدواها واثرها الطيب في هذا التواصل .

11 – لقد بلورت لنا الاستراتيجية التضامنية بعضا من مقاصد السورة كرعاية الله بأنبيائه من جهة ومن جهة أخرى تبين وجود طريقين والانسان مخير لإحدى الطريقين طريق السعادة وطريق الشقاء .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

الكتب:

1- ابن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، طبع الهيئة العاملة للكتاب ، ط 4 ، ج 2 ، مصر، 1999 م.

2- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الجيل ، تح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، سنة 1991 م

3- ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث ج 4، ط 3 ، بيروت ، سنة 1999 .

4- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مجلد 4 ، سنة 1418 هـ / 1998م .

5- ابي بكر جابر الجزائري ، أيسر لكلام العلي الكبير ، المجلد 1 ، ط 3 ، 1410 هـ ، 1990 م .

6- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، سنة 1993 م ،

7- الخليل أحمد الفراهيدي ، في البحث الصوتي عند العرب ، تح: ابراهيم عطية ، دار الحرية ، ط 1 ، بغداد ، 1430هـ – 1983 م.

8- الوحدى ، أسباب النزول ، تح : عصام بن محسن الحميدان ، دار الاصلاح ، ، ط 2 ، السعودية ، 1412 هـ .

9- جلال الدين السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح ، أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، سنة 1418 هـ ، 1938 م ، ج 1 .

10- خليل عمايرة ، في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، عالم المعرفة ، ط 1 ، جدّة ، 1404 هـ ، 1984 م

11- سعيد محمد ، النحو المُصَفَّ ، مكتبة الشباب ، د ط ، القاهرة ، مصر .

12- سعيد يقطين ، تحليل لخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط 3 ، بيروت ، سنة 1997 م .

13- طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، المغرب ، سنة 2012 م .

14-طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، دار البيضاء ، سنة 2000م .

15- عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، د ط ، مصر ، ج 1 .

16- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجية الخطاب ، مقاربة تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط 1 ، لبنان ، سنة 2004 م .

17- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 8 ، سنة 1426 هـ ، 2005 م .

18- محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، دار التونسية للنشر ، تونس ، ج 16 ، سنة .1884

19- محمد المتولي الشعراوي ، قصص الأنبياء ، ومعها سيرة الرسول (ص) ، دار القدس ، ط 1 ، 1423هـ ، 2006م .

20- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الفكر ، طبعة جديدة منقحة ، ج 3 .

21- محمد علي الصابوني ، مختص تفسير ابن كثير ، دار القرءان الكريم ، ط 8 ، بيروت ، سنة 1402هـ - 1981 م ، ج 2 .

22- محمد كريم رياض ، المقتضب في لهجات العرب ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، الدار العربية للكتب ، ط1 ، سنة 1417هـ /1996م .

23- محمود السعران ، علم اللغة ، دار النهضة العربية ، مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، ط 2 ، بيروت ، لبنان ، 1980 .

24- معجم الدوحة التاريخي للغة العربية ، //www. Dohadictionary . irg

25- مها محمد فوزي معاذ ، الأنثروبولوجيا اللغوية ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1430هـ ، 2009 م .

26- هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، ترجمة الدكتور محمد عباد ، عالم الكتب ، القاهرة .

27- السيوطي ، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر ، لبنان ، 1433 هـ ، 2011م .

المجلات والرسائل:

28- ادريس مقبول ، الاستراتيجية التخاطبية في السّنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، المجلد الثامن ، العدد 15 ، سنة 2014 م .

29- جمعان بن عبد الكريم ، إشكالات النص ، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، سنة 2009 م .

30- جيلي هدية ، استراتيجية الخطاب القرآني ،" سورة آل عمران أنموذجا " مقاربة تداولية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم ، التخصص المعجمية وقضايا الدلالة ، قسن اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد الأمين دباغين ، سطيف 2 ، سنة 2016 – 2017 ، نقلا عن : الهيثم الأيوبي وآخرون ، الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ج 1 ، بيروت سنة 1981 م .

31- حمدي منصوري جودي ، تشكل أنواع الاستراتيجية الخطابية – دراسة في الأهداف والوسائل ، مجلة كلية الآداب واللغات ، العدد 21 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، سنة 2017م .

32- سيدي محمد ملوك ، النبر والتنغيم بين اللغة واللسانيات الحديثة ، (ماستر لسانيات) قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات جامعة أبو بكر بالقايد ، الجزائر .

33- عيسى الشماس ، الصداقة عند الشباب الجامعي ، مجلة جامعية دمشق المجلّد 28 ، العدد الثاني ، سنة 2012م .

34- فرحات بدر الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) ، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1 ، بيروت ، سنة 2003م .

35- قناة اليوتيوب ، ندوة صحفية ، أهم ما جاء في خطاب الرئيس تبون اليوم ، ب ياسين ، الجزائر ، 13 ديسمبر 2019 ،19:55 http//aljazair1.com

36- محمد الأصمعي ، نحو تحسين الاتصالات الفعالة في التعليم الجامعي .

37- نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني الثقافي والفنون والآداب ، د ط ، د ت .

38- نجاح يخلف ، دور تسويق العلاقات في كسب ولاء الزبائن ، أطروحة دكتوراه ، دراسة ميدانية لشركات الاتصالات ، تخصص اقتصاد تطبيقي و إدارة المنظّمات إشراف د ، مسعود طحطوح ، سنة ، 2017 م – 2018 م .

39- يونسي فضيلة ، استراتيجية في النشيد الوطني دراسة تداولية ، رسالة مقدم لنيل شهادة الماجستير ، تخصص اللغة والأدب العربي ، قسم اللغة العربية و آدابها والعلوم الانسانية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دت .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
المدخل	17-7
1-مفهوم الخطاب	7
أ- لغة	7
ب- اصطلاحا	7
2- مفهوم الاستراتيجية	10
3- مفهوم الاستراتيجية الخطابية	13
الفصل الأول: الاستراتيجية التضامنية (المفهوم والمسوغات)	**53-19**
1-مفهوم الاستراتيجية التضامنية	19
أ- لغة	19
ب- اصطلاحا	19
2-الاستراتيجية التضامنية والحضور السلطوي	25
3-القواعد التي تعتمد عليها الاستراتيجية التضامنية	30
4-العناصر المتحكمة في الاستراتيجية التضامنية	35
أ - طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه	35
ب - مدى التشابه والاختلاف الاجتماعي	37
ت- عامل الكم التواصلي بين المرسل والمتلقي	38
5- مصوغات الاستراتيجية التضامنية	39
أولا: المصوغات الخاصة	40
ثانيا: المصوغات العامة	46
الفصل الثاني: أبعاد الاستراتيجية الخطابية التضامنية في سورة "طه"	109-55
1-التعريف بالسورة	55
2-أسباب نزول السورة	55
3-أغراض السورة	55

4-الأدوات والآليات اللغوية للاستراتيجية التضامنية	56
أ-الأدوات اللغوية	56
ب-الآليات اللغوية	63
5-الاستراتيجية التضامنية في خطابات الله لأنبيائه	75
أ-الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لرسوله وأبعادها التداولية	76
ب-الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله مع سيدنا موسى عليه السلام	85
ت-الاستراتيجية التضامنية في خطاب الله لسيدنا آدم عليه السلام	97
6-خطاب نبي الله موسى عليه السلام لقومه	101
أ- خطاب موسى عليه السلام لفرعون	101
ب-خطاب سيدنا موسى عليه السلام للسحرة	105
ت-خطاب موسى عليه السلام لبني إسرائيل	106
ث-خطاب سيدنا موسى لأخيه هارون عليهما السلام	107
ج- خطاب موسى عليه السلام مع السامري	108
الخاتمة	111
قائمة المصادر والمرجع	115
فهرس المحتويات	121